اللعب بالنار



المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومي للترجمة
32

تأليف : أشرف أسدى
ترجمة : محمود سلامة علاوى
تصدير ومراجعة : محمد علاء الدين منصور

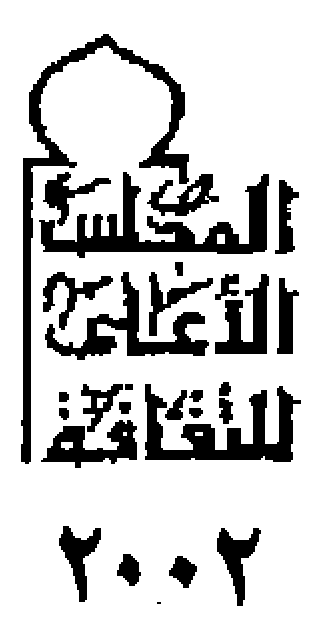
المشروع القومى للترجمة

اللعب بالنار

تأليف : أشرف أسدى

ترجمة : محمود سلامة علاوى

تصدير ومراجعة : محمد علاء الدين منصور



٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٢٤
- اللعب بالنار
- أشرف أسدى
- محمود سلامه علاوى - محمد علاء الدين منصور
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة عن الفارسية لكتاب :

بازى با آتش

صادر عن

انتشارات مشيرى - تهران - إيران

چاپ أول ١٣٧٦ هـ . ش

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم المختلفة ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تصدير

« اللعب بالنار » رواية واقعية تحكى مأساة إنسانية عامة عانت منها – ولاتزال تعانى – الشعوب الشرقية ، وهى سيطرة الحس الطبقى والتمييز بين أناس يفترض أنهم يؤمنون بدين يدعو إلى المساواة والأخوة بلا نظر إلى الوضع الاجتماعى أو المعيشى للمعتقدين به ، غير أن هذه الرواية تكتسب المذاق الإيرانى الجميل بما فيه من سحر وخيال وأنغام وأحلام ، وتذكرنا بقصص السندباد ، وألف ليلة وليلة ، وعلاء الدين صاحب المصباح السحرى ، التى انطلقت من داخل المنطقة الثقافية والأدبية الإيرانية قبل الإسلام وبعده ، ولا نزال نشعر بهذا المذاق الساحر الخيالى فى بعض أعمالنا الروائية والسينمائية المعاصرة . أما الكتاب فهو روائى شاب شاء حسه أن يبتعد بالقارىء عن تعقيدات المجتمع السياسية والثقافية ، والخطوب الجليلة التى سادت إيران مع ثورتها الأخيرة وصاحبت الحرب المفروضة ، وأفضت إلى ذيوع روح الألم والسقم واليأس من الحاضر والمستقبل ، فتاقت الأنفس إلى التطلع إلى عهد جديد ينعم بالاستقرار والأمان وسلامة الوجدان وسمو الأحاسيس ، وإن كان فى ثوب التخيل وقالب الأحلام . وهذا الاتجاه

الجديد وهو الهروب من الواقع المر إلى عالم يضم الواقع والخيال معًا وإن لم يكن المؤلف مبتدعه لكنه فارس من فرسانه . والجميل أن تخرج ترجمة هذه الرواية بوجه مشرق وضاء يفيض أملاً ورقة على يد زميلى وصديقى الدكتور محمود سلامة علاوى ، المأمول أن يستمر فى دربه المحمود وهو تقديم الأدب الإيرانى المعاصر للمعنيين من قراء العربية ، ومن الله التوفيق .

المراجع

مقدمة

أيها القارئ الكريم ، بين يديك قصة عاطفية رومانسية من القصص الإيرانية الرقيقة ، كتبت هذه القصة الإنسانية فى أسلوب بسيط بديع ، بعيد كل البعد عن التقعر فى اللفظ .

كما كان المؤلف أشرف أسدى ، موفقاً فى الحوار وسرد الأحداث بصورة تلقائية ، وكذلك فى رسم شخصيات القصة . هذا الأسلوب الشيق الذى يجذب القارىء عند قراءته لأحداث القصة ، فيداوم على القراءة حتى يحيط بكل تفاصيلها ، لما فيها من بساطة ورومانسية جميلة وعاطفة وتضحية ، عبر عنها المؤلف بقدرة فائقة من خلال أدوار شخوص هذا العمل الأدبى المتفرد .

كما نجح فى تجسيد الصراع الطبقى ، بين الطبقة الثرية والطبقة الفقيرة ، ذلك الصراع الذى لايخلو منه كثير من المجتمعات الشرقية .

وإليك أيها القارىء العزيز عدة سطور تُجمل أحداق القصة : تدور أحداث هذه القصة فى مدينة (شيراز) الإيرانية ، وتحكى قصه حب عاشها أمير ، ابن الثرى سالارخان وبهار ابنه البستانى مراد . وفى قصر سالارخان تتجسد قصه هذا العشق بين الشابين أمير هوشنج الذى تخرج فى كلية الحقوق ، والشابة الجميلة بهار التى حصلت على شهادة الدبلوم المتوسطة ، وقد نشأ هذا الحب منذ أن كان الحبيبان

طفلين صغيرين ، أى حينما جاء البستانى مراد وزجته وابنته الصغيرة بهار ليقيموا معا فى حجرة واحدة فى حديقة الثرى سالارخان والد أمير ، وكان شأن هذه القصة شأن قصص كل العاشقين أى مكابدة الفراق وعدم جنى ثمرة هذا الحب العفيف بسبب الصراعات الطبقية المعروفه .

إذ بمجرد أن عرف سالارخان والد أمير بزواج ابنه من بهار الفتاة الفقيرة ، رأى أن فى ذلك وصمة عار قد دنست ثوب عائلته الثرية فأراد أن يهره بأية وسيلة حتى وإن قتل ابنه أميرا .

ومن هنا يبدأ الصراع الطبقى ، وينقل كمال الحارس فى بيت سالارخان واقعة قتل الأب غير الحقيقة للابن إلى العروس التى لم يمر على زواجها من أمير سوى أشهر معدودة ، ويخيفها كمال من بطش سالارخان حتى تضطر أن تهرب من شيراز كلها إلى أصفهان .

وتعيش بهار لدى أسرة الحاج معين يزدى وامرأته شيرين ، وتنجب بهار تؤمين هما شهاب وشاهين ، وتطلب بهار ، من معين أن ينسب ولديها إليه وأن لايبوح بهذا السر مهما حدث .

وتتفرغ هى إلى محاضراتها فى الجمعيات الخيرية وتتوسع فى هذا النشاط المعارض ، لتتحول خطبها الدينية الإرشادية إلى المعارضة السياسية للسلطة وتتعرض للسجن ، وتضطر الحكومة لأن تنفيها إلى قرية (أحمدى) ، إحدى القرى الإيرانية المستقرة فى أعماق الريف لتعلم التلاميذ الصغار القراءة والكتابة وتمارس نشاطها السابق فى هذه القرية الصغيرة ، وإن اختلف قليلا عن ذى قبل . ويكبر الحاج معين يزدى فى السن ويرفع الابنان شهاب وشاهين دعوى بالحجر على الأب وأمواله .

وبالصدفة المحضة يكون القاضى هو أمير هوشنج أى والد شهاب وشاهين ، ولكنه لايعرف ذلك . وفى هذه الجلسة يعلن محامى الحاج

معين عن تنازل موكله عن جميع أمواله لابنيه المذكورين مع الإبقاء على جزء ضئيل من ثروته ليعيش منه أيامه المعدودة .

ويترك الحاج معين كتيب ذكرياته للمحامى لكى يعطيه والد الشابين بعد نهاية الجلسة ، ويفعل المحامى ما أمره به الحاج معين ، وعندما قرأ القاضى أمير هذه الذكريات وتذكر كيف أن أسرته قد تآمرت عليه حتى لايتزوج بهار حبيبته يبكى بكاء مراً أمام والدته العجوز جوهر تاج .

ويقوم القاضى أمير برحلة البحث عن زوجته بهار بعد أن استصدرلها قراراً بالعفو عنها . وبالفعل يعثر عليها وترفض بهار العودة لحياتها السابقة بعد أن حددت هدفها ، وهو مكافحة ظلم الطبقة الثرية وخلق جيل من الشباب لايعرف الخوف ، وجدت كل هذا فى أولئك التلاميذ الصغار الذين قامت بتعليمهم . ويستقيل القاضى أمير من وظيفته ليعوض زوجته بهار عن تلك الأيام القاسية ويؤسس لهذا الغرض مدرسة باسمها ، مدرسة (بهار قشقابى) . وتتوالى الأحداث الكثيرة والعديدة والتى أتركها لكى تتعرف عليها أيها القارئ بنفسك حتى لا أفسد عليك متعتها .

محمود علاوى

كلمة الناشر

إن حياة كل إنسان قصة تحدث مرة واحدة فقط ، ولاتتكرر فى أى مكان أو مع أى شـــخص قط . وإن أحـد الأسـبــاب الرئيسية فى جدتها هو عدم التنبؤ بها مما يجعلها باعثة على الإثارة وغير قابلة للتكرار .

ومن ناحية أخرى ، فإن القاعدة السائدة فى الوجود هى القاعدة الثابتة التى لا تتغير وهى مرتبطة بأمر الله الذى يقوم عليه قانون العلة والمعلول ، ويمكن أن تتدخل فى تشكيل مصيره وفى تغيير مجرى الأحداث وذلك من خلال التعرف على القوانين العامـة التى تحكم الحـياة وتحكم عـلاقـة الإنسـان بالطـبـيـعـة والإنسنان ، والإنسان بالإنسان بالمجتمع .

فـإذا تمت هـذه المعرفة للإنسـان ، استطاع أن يطلع دومًا على الأحداث التـاريخـية ومسـير الشـعوب وسـير الأبطال وأن يتـخـذ العـبـرة من أولئك ، كـمـا أن كل عـمل أدبى – وخـاصـة القصة علاوة على الجوانب الخاصة لها – يمكن أن يكون أيضًا ذا عبرة وعظة ، فتدلنا على حياة أفضل .

وبالتعرف على أفضل الوسائل فى مطالعة القصص يمكن أن نستفيد من أبسط تفسير لتجارب الحياة وسير الرجال والمجتمعات ، وقد دعا الله سبحانه عباده إلى الاطلاع الدائم فى آثار الوجود ، ثم لا نمتنع عن القراءة والقراءة الدائمة أيضاً ، فنأخذ العبرة من حياة الآخرين .

جيتى مشيرى

اللعب بالنار

لقد تبـدل نور العشق الخافـت بشُعل من النار ، شـملتنى من رأسى حـتى أخـمص قـدمى ، حـينئـذ أدركّت أنك منحت الطهارة معنى وتعلـموا الصداقة منك ، وارتشفت الورود أريجها من أنفاس ربيعك ، واستمدت النجوم منـك ضياءها فى مدرسة العشق ، ولكن واأسفاه فقد حرقتنى شـعلك الملتهبة بصعودك المفـاجئ ، والآن أقسم لك بحُـرمـة العشق أن نجـدد العودة للوصال معًا .

الفصل الأول

كان موعد جلسة المحكمة فى تمام الساعة العاشرة صباحًا ، بينما كانت ساعة الحائط تشير إلى الثامنة صباحًا ، وكان لا يزال من الوقت ساعتان على بداية جلسة المحكمة . وخرج « شهاب » من غرفة نومه شاحب الوجه يبدو على وجهه الأرق بسبب عدم نومه فى الليلة السابقة ، ومكث بالفراغ الذى يؤدى إلى غرفة الاستقبال ثم مرر يده على شعره المجعد ، واتجه يمينًا حيث المنضدة الموجودة وسط كراسى غرفة الاستقبال ، وأخذ علبة السجائر الموضوعة فوقها ، وأخرج آخر سيجارة بها وأشعلها بولاعته،وأخذ منها نفسًا طويلاً، ثم أخرج دخانًا كثيفًا من فمه ، وأخذ ينظر حوله لحظة ، واتجه إلى أحد المقاعد وألقى بنفسه فوقه وكأنه فقد القدرة على التوازن .

وكانت (مريم) تتابع تصرفات زوجها ، ومن شدة الغضب شدت المكواة بعنف من فوق أحد طرفى « البنطلون » الذى كانت تقوم بكيه وقالت فى نغمة ذامة : هل هناك إنسان عاقل يدخن سيجارة وهو جائع فى هذا الوقت من الصباح ؟

فأجابها (شهاب) والذى كـان مثل مخزن البارود وينتظر أية لمسة (لينفـجر) بضحكـة ساخرة قائـلاً : ومن ذلك العاقل الذى يأكل ثلاث وجبات إنه إنسـان طماع وفى الوقت نفـسه يجـرجر والده المريض إلى المحكمة ، وفى منتهى الصفـاقة يقول : ياسيدى الرئيس إن والدى مشلول ويفتقد القدرة العقلية ، وبناء على ذلك نطالب بالحجر عليه ، ومن شدة الغضب ضغطت (مريم) مقبض المكواة ، وحركت حاجبيها المشدودين إلى أعلى ، وأمسكت بعدة شعرات من شعرها الذى كان قد سقط على عينيها وقالت : لو لم يبالغ الرجل المسن ومنح هو نفسـه وبإرادته أمواله لك لمـــا حدثت هذه المشكلات .

– المشكلات ؟ أية مشكلة تقصدين ؟

السيارة الخاصة ، البـيت الجميل ، الزوج المتعلم ذلك المسكين الذى لم يمنع عنـا شيـئًـا طوال عـمـره ، ولكن لو أنك تقـصـدين المشاكل المـــالية والمتعلقات الأخرى من الميراث ، فإننى أبشرك بأنه لـم يتبق سوى ساعتين من الوقـت على أخذها ، وسوف تصبحين أنت وزوجة أخـى الطماعة صـاحبـات الثروة التى جـمعـها ذلك المسكين بعد أن ضيع أيام عمره هباء .

وقد ملأ رنين صوت (شهـاب) كل فراغ البيت ، وكأنه كان ينتظر لمدة طويلة مثل هذه اللحظات حتى يعبر عن جراح قلبه بهذه الكلمـات . وعلى الرغـم من أن أى نوع من الندم قـد تأخـر وقته

حتى أن آخر جلسة للمحكمة سوف تبدأ بعد ساعتين ، كما أن الرأى الحاسم قد صدر ، إذ إن عقد مثل هذه المحاكم سواء حققت الأمل المرغوب أو لم تحققه ، فإن هذا الأمر فى نظر الناس باعث على خجل شهاب وشقيقه ، وقد كان شهاب منذ البداية معترضًا على رفع دعوى ضد الأب ولكنه استسلم للتوقيع على رفع هذه الدعوى القضائية تحت الضغوط المستمرة لزوجته ، وقد اضطر شهاب وهو غير مقتنع أن يخبر (شاهين) للحضور فى المحكمة ، لأنه كان من الممكن ألا يخرج من تحت فراشه حتى الظهر .

وتناول سماعة التليفون بسرعة فى اللحظة التى ألقى فيها سيجارته بغضب بعد أن تناول أخرى ، وتدحرج شاهين فوق السرير ، وأخذ ينظر للحظات إلى سقف الحجرة ، وأخذ يفكر فى الحلم الجميل أى الشراء والذى موعده الصبح ، المنزل الشيك والكبير فى شمال المدينة والسيارة المرسيدس آخر موديل والتى تنساب فوق شوارع طهران وشالوس .

وكم هو جميل طريق شالوس ، إذ إنه جَبَل وقد احتضن طريقًا ذا طرفين ، ويقبِّل الضباب الكثيف من بعيد يد الغابة الجبلية ويا لها من متعة أن يستريح المرء يومين بجوار البحر فى فندق ساحلى ثم يعود ، إنه لا يملك نفسه من شدة الفرح .

وقد أوقف السيارة فى الفناء المخصص للفندق ، ووضع يده على ذقنه وقد أجاب برأسه على تحية حارس الفندق ، وبدخوله الصالون ، تلألأت الأنوار المبهجة وأمام مدير الفندق ، ابتسم

قائلاً : إنه لفخر لكم ياسيد (يزدى) أن تنتظرونى ، وسرعان ما وصل عامل الفندق الذى يرتدى الملابس الزرقاء ، وقد رفع شمعدانًا ثقيلاً فوق السلالم المغطاة بالموكيت فى الفندق . ونظراً لقصر قامته كان غطاء الملابس المكوية للسيد يزدى يلامس سلالم الفندق ، وذهب الخادم نحو نافذة الحجرة ، ولتلافى حالة الفوضى أزاح ستارة حريرية حمراء من على النافذة بشكل خاص ، فعمت الأنوار داخل الغرفة حيث بدا منظر الروض الأخضر المواجه لها ، وتثاءب شاهين وقال لنفسه ، إن الثراء عالم غريب ، ويفضل أن آخذ حمامًا أولاً ، وبعد ذلك أوصى على الطعام ثم أمر قائلاً : ليحضروا طعامى إلى غرفتى، فأنا النزيل الدائم فى هذا الفندق ، وينبغى عليهم أن يعرفوا عملهم مسبقًا بالنسبة لهذا النزيل الثرى ، وأخذ حمامًا وهو يتغنى على وجه السرعة ، بينما كانت قطرات المياه تتساقط من رأسه ووجه فوق المنشفة ، وتناول سماعة التليفون بطريقة خاصة ، وأخذ رقمًا وطلب الغذاء فى كلمات رقيقة وديعة ، وبعد ربع ساعة كانت هناك عدة طرقات على الباب ، ودخل الحمام يحمل طاولة الطعام ، فكان عليها الكباب السلطانى إلى جوار الأرز فى أجمل أطباق صينية ، وكان فوق مائدة الطعام أيضًا مزهرية صغيرة بها ورود متنوعة ، وألقى الخادم السلام وقال :

أتأمرنى بشىء ياسيدى ؟

إذ إن الورقة ذات الخمسين تومـانًا قد أدهشت الخادم ، إذ إنه قد ذهل من حصوله على الإنعام ، وهكذا أخذ يتراجع إلى الخلف حتى اصطدمت مؤخرة رأسه بالجدار ، ولكنه خرج بسرعة وأغلق الباب خلفه ، ومن حـسن حظ الطفل « الخادم» أنه لم ير الضحكة الساخرة لشاهين .

وبمجرد خروج الخادم، تنفس « شاهين » نفسًـا عميقًا ، وقال لنفســه : يُفضل أن أتناول الطعام قبل أن يبـرد . وبعد ذلك ، حين أغلق عـينيه ، وتنفس الصـعداء ، وأطاح صـوت جرس التليـفون بحلمه الجميـل ، تناول سماعة التليفون بسرعـة وأخذ ينظر حوله فى حسرة ، وأجاب عـلى (شـهاب) وقال : نعم أنــا جاهز .. يا أخى .. جاهز .

ودخل القاضى هدايت ذو الـقامة الممـشوقة والشـعر الأبيض من الجهة اليـمنى ، وخلع الروب الأسمر الجميل الذى يبرز قـامته وعلقـه فى الشمـاعة الخـشبـية ، وألقى نظرة على مكتب عـمله ، وشغل بالمستندات التى كـان قد وضعها السكرتيـر منذ دقائق قبل مجيئـه فوق مكتبه ، وكانت عبارة عن لفـافة من الأوراق الخضراء التى تضم مـستندات (مـعين يزدى) والمعـروف (بمعين التجـار) ، فأمسك القاضى بهذه المستندات وراح يتفحص الدعوى المرفوعة ، وهز رأسه متأسفًا وقال لنفسه :

الحمد للّه على أنه فى هذه السن ليس لدى زوجة أو ابن حتى لايتهمانى بالجنون فى أيام المشيب هذه ، وقد أظهر هذان الشقيقان وقاحة لاحد لها ، وأخيراً من هذا الإنسان الذى يجرجر أباه المسن إلى المحكمة من أجل الاستيلاء على ماله ، وفى الواقع إن الزمان قد تغير !

وبعد الاستغراق فى هذه الأفكار ، أخذ القاضى يتأوه ، وأغلق ملف المستندات على حالته الأولى ، وبعد أن هيأ نفسه ، استعد للذهاب إلى المكان المخصص للقضاء فى صالون المحكمة، وقبل دخول القاضى هدايت بدقائق جلس شهاب وشاهين على المقاعد المخصصة لهما ، وحضر عدد من الأصدقاء والمعارف لمتابعة تفاصيل القضية فى صالون المحكمة .

وكان السيد (فروغى المحامى) المدافع عن السيد (معين يزدى) مثل الفاتحين فى الحرب حيث كان يمر أمام جنود مهزومين، وقد دفع المقعد المتحرك لموكله - معين يزدى-فى المكان المخصص له ، وكان موكله شيخًا نحيفًا أو كما يقولون : جلد على عظم ، ويبدو على وجهه مسحة من حزن حيث وضعوا غطاء من الصوف فوق كتفيه وكان يتكئ هذا الرجل المريض على مقعد متحرك ، وكانت عيناه غائرتين ، وكانت نظراته الضعيفة تؤلم قلب من ينظر إليه ، وقد تسببت النوبة القلبية التى أصابت معين يزدى منذ عامين فى الرعشة غير الإرادية لفكه الأسفل ، وقد بدت

يده اليـمنى المشلولة خـارج ذلك الغطاء الصوفى ، ولكن مع كل هذا العجـز الجسمانى إلا أنه بدا ذا هندام منظم ، وكـان قد ارتدى جـاكت رمادي اللون نظيـفًـا ، وكان يحـيط بعنقـه النحيف شـال كحلي من الصوف .

وجذب اهتمام الحاضرين به وجـود شعيرات قليلة بيضاء فى جانب من كـتفه ، وكـان يحمل كتـيبًا من الجـلد البنى وقد وضع فوق غطائـه الصوفي وليس معـلومًا لأى سبب أحـضره مـعه إلى المحكمـة ، ومـع دخـول القـاضى والهـيئـة المرافـقـة له ، وقف الحاضرون من باب الاحتـرام ، وقد جلس هدايت فى وقار خاص فى مقعد القضاء .

وفى البداية قرأ سكرتير المحكمة حيثيات الدعوى القضائية ، وكان شاهين يستمع إلى كلمات السكرتير فاتحًا فاه ، أما شهاب ، فكان قد طأطأ رأسه خجلاً .

وكانت العجوز الخادمة التى كانت تعمل لمدة عامين فى منزل معين يزدى ، قد جلست خلـف الشقيقين ، وكانت تتـمتم ببعض الكلمـات فى حين أن فـخر السـادات الذى كـان رجـلاً مسنًا قـد استشـاط غـضبًا وأخذ هو الآخر يتمتم بهـذه الكلمات قائلاً : ياله من زمن عجـيب أن يعق الأبناء الآباء، ويا لها من أحوال غـريبة ، إذ إن الحـيوانات المتـوحـشة لاتهـجم على الحـيـوان طالمـا أنه لم يمت،بل إنهـا تلـتف حــوله حـتى إذا مات تقطعـه إربًا إربًا بعـد

ذلك ، ومـا زال الأب على قـيـد الحـيـاة ومع ذلـك يريد هذان الشقـيقان أن يسـتوليـا على أمواله وممتلكاته ، ولكن إسـاءة الفهم والعقوق لايصلان إلى هذا الحد .

وعندما سمـع شاهين هذا الاعتراض من قبـل هذه العجوز ، رجع إلى الوراء بهدوء ، وأخذ ينظر إليـها فى غضب ، واغتنمت العجوز الفرصـة وأشاحت بوجهها غاضـبة عن شاهين ، وتسبب همس الحاضـرين فى الجلسة فى أن القاضى قـد دعاهم للسكوت للمرة الثانية .

وبعـد قراءة حيـثيـات القضـية ، طُلب من الـسيد (فـروغى) المحـامى المدافع أن يقـرأ طلـب الدفـاع عن مـوكله ، لأنه سـوف يصدر فى هذه الجلسة الرأى النـهائى فيها ، وصاح السـيد فروغى فى صـوت عال مـحاولاً أن يلفت نظر هيـئة المحكمـة إلى دفاعـه قائلا : سيـدى الرئيس ، هيئة المحكمة الموقرة ، لقد بُحـثت جميع تفـاصيل قـضـية الـسيـد معـين يزدى فى الجلسات الـسابقـة،وأنا باعـتبـارى المحـامى المدافع عن السـيد مـعين يزدى أرفـض اتهـام موكلى ، اسـتناداً إلى شهـادة الطبيب القانونيـة التى تدل على تمتع موكلى بالقـوة العقليـة السليمة ، وبهـذه المستندات هذه الشـهادة الطبـية ، وأنا أبرىء موكـلى من هذه التهـمة بنسـبة ١٠٠٪ وفى الوقت نفـسه فإن السـيد مـعين يزدى يتنازل عن كل أمواله لابـنيه شهاب وشاهين ، باستثناء جزء ضئيل يكفل له معيشته .

ولعل هذا الإيثار الأبوى يثير فيهما الإحساس بالمسئولية ويحرك فيهما غريزة الحنان ، ويكون فى ذلك درسًا وعبرة لجميع أبناء المجتمع ، وليس لدى حديث آخر ، وأشكر هيئة المحكمة الموقرة ، وأطلب السعادة لجميع خلق الله ، ولم يكد ينته السيد فروغى من جملته الأخيرة حتى أخلّ تهامس الحاضرين بهدوء المحكمة ،وأمسك شاهين دون أن يدرى يد شهاب وقال:مبروك ، أخيراً استسلم الأب،فنظر إليه شهاب نظرة احتقار وقال له : على أى شيء مبروك ؟ أتعتبر عظمة هذا الأب نوعًا من الاستسلام ؟ والاستسلام فى مواجهة من ؟ لقد لقننى هذا التصرف درسًا عظيمًا لن أنساه حتى آخر لحظات عمرى ، إن هذا التنازل الأبىّ من قبل الأب بمثابة لكمة قوية صامتة ، حتى أننى مازلت أستشعر نارها فى قلبى ، ولكن ماذا يجدى ولا أظن أنك تفهم معنى كلماتى هذه ، فقد سيطر عشق الثراء على عقلك سيطرة كاملة .

وكان شاهين قد تعجب من كلمات شهاب ، لكنه لم يستطع أن يخفى مدى سعادته وقال ضاحكًا : الآن انهض لنذهب فلدينا أعمال كثيرة يجب أن ننجزها .

وخُتمت الدعوى المرفوعة من شهاب وشاهين بالإعلان عن تنازل الأب عن أمواله لوريثيه الشرعيين ، وفى هذا الوقت أثنى الحاضرون على الأب ، وتركوا قاعة المحكمة وهم يثنون على تنازله .

وخرج شهاب من المحكمة حزينًا مهمومًا ، وانزوى جانبًا هاربًا من الأسئلة العديدة لزوجته (مريم) .

* * *

أما شاهين فراح يحلم بالثراء ، وذهب حتى يبشّر زوجته (مينا) ، وعاد القاضي إلى مكتب عمله مرة أخرى ، بينما سيطرت عليه الأفكار المشوبة بالشفقة ، وألقى نفسه فوق المقعد وهو في الحالة السابقة ، وبينما لم تمر دقائق على حضور هدايت في مكتب عمله حتى أخبره السكرتير أن السيد فروغي محامي السيد يزدي يريد مقابلتك .

وعاد هدايت لطبيعته بعد العبوس ، وسمح له بالدخول مبتسمًا : أتأذن لي ياسيدي ؟ ورمقه هدايت بنظرة من فوق نظارته وقال : تفضل ياسيد فروغي ، هل لديك شيء ؟ نعم لدي موضوع مهم .

ودعا القاضي هدايت مشيراً بيده إلى السيد فروغي بأن يجلس ، وانتقل السيد فروغي بالكرسي الجالس عليه بطريقة توحي بأنه سيخبره بموضوع مهم وتوجه نحو القاضي وقال :

حقيقة الأمر أن السيد معين قد كتب رسالة لكم وأرسها لكم مع كتيب مذكراته ، ونظراً لأن موكلي حزين فقد أصر أن آتي بنفسي وأسلم لك الرسالة وكتيب المذكرات ، وأكد عليّ أن أقدم لك هذه الأمانات ، فدهش هدايت ونظر إلى الرسالة وكتيب المذكرات وأخذهما ، وقد ترك فروغي مكتب هدايت مستريح البال بعد أنهى آخر عمل له أمام موكله وإن كان قد أثار في داخله هاجسًا فكان يسأل نفسه :

ما هو هـدف معين يزدى من كـتـابة أسراره وإفـشائهـا فى رسـالة ؟ فليتنى أحل طلسم هـذه الرسالة وذلك الكتـيب البنى ؟ وبمجرد أن انصرف فروغى ، فـتح هدايت الرسالة بسرعة وبدأ فى القراءة بدقة .

(بناء على القسم الذى قطعته على نفسى منذ سنوات ، فإننى قـد أديت آخـر عمـل يملـيه علـى ضمـيـرى تجاه ولـدى شهـاب وشـاهين ، وأقدم لك عن طيب خـاطر كـتيب ذكـرياتى الذى هو أعظم تذكـار لحيـاتى ، فربما عندمـا تطلعون عليـه تدركون الـسر العظيم الذى تابعـتم تفـاصيلـه لسنوات ، فـتـخفـفوا عن كـاهلى وطأته ، إذ إن الجزء الأعظم من ملاحظات هذا الكتـيب هو عبارة عن الموضـوعات التى تابـعتم مـعرفـتـها لسنوات ، وإن كنت قـد حفظت هذا السر حتى هذه اللحظة ، فإن ذلك بسبب القسم الذى قطعـته على نفسـى ، وإذا أردت الآن أن أفشى هذا السـر ، فذلك لأننى أريد أن أودع آخـر أيامى فى راحـة بال ، وأتمنى لك من الله طول العمر) توقيع : معين يزدى .

وأطال هدايت النظر فى الرسالة ، وقد أعاد للمرة الثانية قراءة هذه الرسالة ، وفجأة تغير لون وجهه وتراكمت حبات العرق على جبـهته ، فـأخرج منديلا أبيض من جـيب سرواله ، وجـفف عرق الجبهة .

ولم يكن هذا العرق بـسبب حرارة الغـرفة بل بسب اشتـعال النار التى اختفت لسنوات تحت رماد الزمان ، وأخذت تشتعل فيه مرة أخرى بداية من رأسه حتى أخمص قدميه .

وكان قد سيطر عليه الانفعال الروحى بشكل تام لدرجة أنه لم تكن لديه القدرة على مواصلة الجلوس ، فنهض من المقعد الجالس فوقه وبدأ فى السير ، وسأل نفسه : هل يعرف هذا الرجل المسن شيئًا عن حياتى ؟ ! ولكن لا .. لا .. إذ إنه وفقًا لما جاء فى حيثيات القضية فهو لم يقم طويلا فى مدينة شيراز ، فى حين أن تلك الوقائع ترتبط بسنوات طويلة بينما كان معين يزدى يعيش تلك السنوات فى « يزد» أو أصفهان . « فوضع القاضى هدايت إصبع السبابة على جبينه واستغرق فى التفكير ، واختلطت عليه الأفكار .. لعل قصده بالسر الحادثة المؤسفة للعمة (قمر) .. على الرغم من أننى لا أريد أن أتذكر تلك المرأة المسكينة وذكرياتها المريرة فى حياتها ، ولكننى لا أستطيع أن أنسى بسهولة اعتراف الأب فى آخر لحظات حياته ، كيف أنه استطاع أن يسم أخته غير الشقيقة عن طريق بعض الأشخاص وذلك حتى يكون الوارث الوحيد لأبيه بشتى الطرق ،إن هذا يجعلنى أرتعش ، ولعله لم يكن لديه شىء من الدنيا ففعل مثل هذا الأمر من أجل الاستيلاء على أموال الأخت البريئة ، وتعتبر الدنيا دار القصاص ، وكان مرض الأب القصاص منه عن جميع شروره ، ذلك المرض الذى ابتعد فيه عنه جميع الأقارب وكنت شاهدًا على تلك الأيام المريرة .

حـتى لم يرعه أحـد ولـم تشـفع له كل أمـواله فى تلك الأيام لتكون علاجًا للحظة واحـدة من معاناته . وهكذا تمكن المرض من (الأب المسن) بحـيـث إنه لم يقـو على شـرب المـاء ، وكنت أنا الوحيد الذى أرعى أبى المريض حتى آخر نفس له فى الحياة بحكم صلة الـدم ، ولذنب لا أعـرفـه أصـبـحت مـثـار غـضب فـتـرة شيـخوخـتـه ، وما زالت السنوات تمر سنة بعـد أخرى ، ومع ذلك أحس بصـوت إطلاق الرصـاصـة التى أصـابت قـدمى اليـمنى ، وأسال نفسى دائمًا لمـاذا بدد أبى سعادتى ، وطرد عصفور عشقى من بستان الحياة ؟

ولمـاذا أحـال ربيع حيـاتى المتجـدد إلى خريف ذابل ، ومـلأ مزهرية ورود حياتى بالقـسوة والعنف ؟ وتساقطت قطرات الدمع الحارة من عينى السيد هدايت ، واستغرق فى التفكير للحظات فى ذكريات حلوة ومرة لذاك المـاضى ، وتمتم بكلمات وقال لنفسه : من الأفضل أن أعود للمنزل سريعًا وأن أقرأ كتيب الذكريات .

وفُتح البـاب الحديدى الكبير لـلحديقة بعد أن أحـدث صوتًا مسموعًا ، وعاد الخادم إلى القـاضى بعد أن فتح الباب ، وكان قد تعجب من عـودته المفاجئة ، إذ قـلما حدث أن عاد السـيد هدايت إلى منزله نهارًا .

وأغلق باب الحـديقة بعـد أن دخل السيـد هدايت بسيـارته ، وعاد إلى الحـجرة الصغيـرة التى كانت مخـصصة للبـواب ، بينما

كـانت (جوهـر تاج) والدة السيـدة هدايت تطل بوجـهـهـا وفقًـا لعادتها كل يوم لتستمتع بنور الشمس المشرقة ، وعندما رأت ابنها ضحكت ووضعت نظارتها فوق أنفها وقالت :

أعانك الله ، لقد عدت مبكرًا .

فنظر السيد هدايت إلى وجه أمه الذى تبدو عليه ملامح الكبر وقـال : أشكرك يا أمى ، كنت أقرأ بـعض المستندات بدقـة ، وفى الحقيقة آمل أن أحظا براحة أكـثر فى البيت وأرجو ألا يدخل أحد علَّى تفهمين بالطبع ما أقصد ؟

ونظرت جـوهر تاج إلى ابنـها وقـالـت : اطمـئن ، فلو كنت تقصد (محمـده أونو) فقد أرسلتها لقضاء أمر ، وقـد قصد السيد هدايت بذكره هذا الموضـوع للأم ، أن يستريح من شرور الخـادمة العجوز التى تفتعل الحديث لكى تثرثر ، وقد كانت الأم فى حاجة إلى أحاديثها أكثر من الآخرين ، وكانت الأم تشعر بالوحدة ، بعد وفاة زوجـها (سالارخان) خـاصة وأن السيد هدايت كـان يقضى معظـم وقتـه فى بحث القضايا ، وكان العيش بالنسـبة له فى البيت الكبـير بـاعثًـا على السـأم والملل ، ولهـذا السبـب كان يفـضل أن يقضى أكثر أوقاته فى مكتب عـمله ، ومنذ أن فقد زوجته فى سن الشباب ، لم يفكر فى الزواج من أخرى ، وأصـبح هذا الأمر باعثًا لأن يقضى حياته إلى جوار أمه العجوز .

وكانت جـوهر تاج امرأة مجـربة ومحنكة ، فمنذ قـدوم ابنها سعت فى الانصراف من مكانها ، ولهـذا السبب نهضت من فوق مقعدها متوكئة على عكازها وأخذت تسير أمام الغرفة ، وأخذت تحدث نفسها فى صوت عال قائلة : يا إلهى العظيم ، اعف عنى .. فقـد أصبحت سببًا فى المتاعب الكثـيرة لابنى ، يا إلهى اعف عن ذنب أبيه ، فـقد تسببنا نحن الاثنان فى هدم سـعادة ولدنا .. اعف عنى يا إلهى العظيم .وعندما تذكرت العجوز ذكريات المـــاضى ، أخـذت تنظر مـــرة أخـرى إلى ركن ناء فى الحـديقـــة وهو مـقـر ضريحين متجاورين ، ويخص الضريح أو القبر الأول قمر هدايت ويخص الثانى سالارخان هدايت .

وأخـذت جـــوهر تاج تمعن النـظر المتـلاشى فـى ذلك الركن الجانبى من الحديقة وقالت : ما أسعدكما برحيلكما ، حتى لا تريا المتـاعب المتـعـددة لابنى ، ومنذ سـنوات عندمـا أنظر إليـه ألاحظ الحزن العـــميق على وجهـه ، سامحنى يا إلهى ، وأنا أطلب العـفو فى سكوته .

وهكذا وقفت جـوهر تاج أمام صـالة الغرفة بعـد أن توكأت على عكازها ، وأخذت تنظر إلى نهاية الحـديقة ، وبمجرد أن دخل السيد هدايت غـرفته أغلق الباب على نفـسه من الداخل ، وقرب المقعد الوثيـر من مدفأة الحائط ، وأخـذ يحرك النار الهادئة المتبـقية من الصبـاح بسيخ المدفـأة ، وليزيدها اشـتعالاً راح يضـيف بعض

قطع الأخشاب إليها ، وشد ستارة الـنافذة وأضاء مصباح الغرفة ، وهيأ الغرفة جـيداً للقراءة ، وكان متشوقًا إلى حـد كبير إلى قراءة الكتـيب البنى لمـعين يزدى ، وكـان قد بـدأ أول سطر من الكتـيب بهذه الجملة الجميلة .

(الحمد لله الذى منحنى القدرة على التفكير والتحدث)

لقد أصبح ميلاد حفيد الحاج أمين يزدى فى منزله باعثًا على أن تشغل ذكريات تلك اللحظات أذهان خدم المنزل لفترة طويلة ، لأننى قد ولدت بعد ثلاث ، إذ كان سُعاة بيت الأب يتحدثون دائمًا بسعادة غامرة عن ميلاد الأم ، خاصة الجدة (زهرا) ، تلك العجوز اللطيفة والتى كانت بمثابة والدتى ، وكانت فى كل وقت تظهر لى الخاتم الذهبى الذى كان والدى قد منحها إياه كبشرى ميلادى وكانت تسعد بتذكر تلك اللحظات وتضحك فى سعادة غامرة ، فكانت تظهر لثة أسنانها ، وكنت بدورى أسعد جداً بظهور فمها بدون أسنان ، وكانت رائحة ماء الورد تفوح من وشاحها الرقيق ذى اللون الأبيض الذى كان ممسوكًا من تحت ذقنها ببروش ، وحيث إننى فى معظم الأوقات كنت أذهب للنوم فى حضنها ، فقد تعودت على تلك الرائحة الطيبة لتلك العجوز المتدينة .

وأمسكت بيدى أكثر من مرة ، ووضعتنى فوق شىء عال فى الفناء ، وقالت : أيها الحبيب معين عندما ولدت كان هذا الفناء مليئًا بأفراد الأسرة ، ومن شدة سعادة أبيك لم يستطيع أن يثبت

على وضع معين ، إذ راح يفتل شاربيه ويدخن نرجيلته الفضية ، وكان يمنح الإنعام للآخرين على الفور ، ولا يمكن أن أنسى تلك اللحظات فى أى وقت من الأوقات ، ونظر الحاج أمين ذو الصوت الرقيق إلى الأسرة وقال : من الآن فصاعدًا ينبغى على الجميع أن ينادوا ابنى باسم (معين التجار) وفى تلك الليلة نظرت (معصومة ومريم ومهرى) إلى الأب بشكل يوحى بالاعتراض والحسرة ، ولكن الحاج فى اليوم التالى كان قد اشترى للبنات الثلاث ثلاثة عقود جميلة .

وطول المدة التى كانت جدتى تعيد فيها الحديث عن هذه القصة المعادة ، كنت أطيل النظر حول لثتها القرمزية ، وكان هذا يسعدنى إلى حد كبير ، ولما كانت ترى هذه العجوز الحنون أننى لا أصغى لأحاديثها ، كانت تضحك وتقول : فى أى شىء أنت مشغول ؟ وعندما أفكر متحسرًا على أيام الطفولة ، أقول لنفسى ليت تلك الأيام تعود ثانية ، ولكن وأسفاه ، إن أية قوة لا تستطيع أن تعيد أيام الماضى ثانية ، وأحيانًا أتذكر كيف أننى كنت أسىء لتلك العجوز المسكينة بشقاوتى ، وفى كثير من الأوقات كنت أمارس معها بعض الحيل وكنت أتسلل فى الوقت المناسب إلى غرفتها وأخبئ رداء صلاتها فى ركن من أركان الغرفة .

وبعـــد ذلـــك كنت أرى العـجـوز وهى تبـحث عنه فى كل مكان ، فـإذا تعـبت من البـحـث ، نظرت إلىَّ ، وكـانت تقـرأ فى عينى، أننى قد أخـفيت رداءها فكانت تقول راجية : حبـيبى معين لقد ضاعت الصلاة منى فـباللّه عليك أعطنى ردائى ، فكنت أدلها على مكانه ، فـأشعـر بنشوة الانتـصار ، وأحـيانًا كنت أضـايقـها بإخفاء حاجياتها حـتى أنها كانت تمسك لى بوصة النرجيلة ، وفى أحـد الأيام جعلت العـجوز المسكـينة تجرى ورائى حـتى تقطعت أنفاسـها فقـالت لى مستـسلمة : هذا كـاف ياحبيب الجـدة ، فأنا لست شيطانة مـثلك ، فارحـمنى باللّه عليك وأعطنى مفـاتيحى ، وقـد جذب صـوت ضـحكاتى الجـميع إلـى الفناء حتى أن بقيـة الأسرة الذين كـانوا ضـــائقين من شقاوتى ، قـد نصبوا لى كـمينًا مع جـدتى ، وفـى النهـاية ، تدحـــرجت تحت أيدى شـقـيـقـاتى وأرجلهن مـثل حمل سـقط فى براثن الذئاب ، وانتـهزت جـدتى الفرصة ونفست عن نفسها بضـربى عدة ضربات ببوصة النرجيلة على قدمى .

وأحدث الجمـيع جلبة على مائدة الطعام حـتى لا أخبر الأب عن أفعالهن ، لهذا فقـد امتنعت عن تناول الطعام لألفت انتباهه ، فكنت أحرك عينى بشكل ملحوظ ، فسألنى أبى فى صوت حنون إذ كان على دراية كاملة بتـصرفاتى ماذا حدث يا مـعين ؟ فأشرت بعينى إلى (معصومة ومريم ومهرى) .

وشيئًا فشيئًا ، تحسنت العلاقة بينى وبين جدتى التى قد تولت مسؤليـة رعايتى فى البيت ، فاتبـعت جدتى معى سيـاسة المسالمة ، وقـد وفقت فى ذلك بإعطائى الحـلوى والفسـتق واللوز واللب ، لأتحول من طفل شقى إلى طفل هادىء ومطيع ، وبعد ذلك عندما كنت أتذكر أننى أؤذى جدتى ، كنت أخجل من تحملها وصبرها ، وكنت أحس بالنـدم لكونى كنت الابن الوحـيـد فى البـيت الذى يسبب الأذى لهـا ولشقيقـاتى ، ولا شك أن أحاسيس أبى الدافـئة كـانت تؤيدنى فى هذه (القـضيـة) ، ولم يكن الأب يحـيط علمًـا بجمـيع ألاعيبى ، ولو لم يفضلنـى عن شقيقـاتى لمـا كانت هناك أية مـشـكلة ، إلا أن الأب منذ فـتــرة الطفـولة وهو يميــزنى عن الآخرين ، وفى بعض الأوقات كـان صوته يدوى فى أذنى إذ كان يقول لى :

استعد يا مـعين ، فإن المعاملة فى الحرفة مخـتلفة ، وينبغى أن تكون إلى جـوارى ، وأن يكون الأب والابن مـعًا ، فـيكبـر بذلك العمل ويتطور ، وأنا لم أكن أكثـر من طفل مثلك ، وكنت أمسك بذقنى ، وكنا نخـرج من المنزل معًـا ، وكان هذا الأمـر يثـير غـيرة جميع شقيـقاتى خاصة أختى مهرى التى كانت أصـغر من جميع الشقـيقات وأكـثر حسـاسية ، وفى النهـاية فقد أضـرّ هذا التمـييز الأبوى بى ضرراً كبيراً ، حتى أنهن كن يتربصن لى انتظاراً لمجيئى فى أحد أركان البيت الخالية ثم يوسعننى ضربًا .

وشـيـئًا فـشـيـئًـا قلّت ألاعيـب القط والفـأر هذه بينى وبين شقيقاتى فى المنزل .

وكلما كبرت أكثر زادت روابط الصداقة بينى وبين مهرى خاصة ، إذ إنها كانت أجرأ من مريم ومعصومة ، وأكثر وداً ، وذات يوم نظرت إلى وقالت : انظر يا معين لقد نبت الشعر أسفل شفتك ، فاحمررت خجلاً ، ونظرت إليها فى حياء ، وبعد عدة لحظات،توجهت خفية إلى المرآة ونظرت أسفل شفتى ، فكان الصدق ما قالت (مهرى) وشيئًا فشيئًا أصبحت فى زمرة الرجال .. وتريدون الحقيقة ، فقد ذاب السكر فى فمى سعادة وفرحًا .

وقد أصبح هذا الأمر سببًا فى أننى قد غيرت من سلوكى وتصرفاتى يومًا فيومًا ، وعلى الرغم من أن صوتى كان قد تغير قليلاً ، إلا أننى تعمدت أن أجعل صوتى خشنًا أكثر من اللازم ، وسرعان ما تغيرت الشعيرات المعدودة خلف شفتى بشارب حالك السواد . ولم يختلف صوتى كثيراً ، ويومًا فيومًا كنت أقترب من مرحلة الشباب الجميلة ، ومرت فترت المدرسة الابتدائية والثانوية مثل حلم جميل ، وكنت إلى جوار التعلم أمارس أعمال الأب أيضًا .

وعلى حد قول أبى فقد كنت محظوظًا ، إذ إننى قد عوفيت من قضاء عامين فى الجيش ، على الرغم من أننى شخصيًا كنت أحب كثيراً أن ألتحق بالجيش ، ولكن على حد قول أبى أنه لم يكن يطيق الابتعاد عن ابنه الوحيد لحظة واحدة ، فكان يظن هذا الإعفاء من الخدمة العسكرية نوعًا من حسن الحظ بالنسبة لى .

وعندما بلغت العشرين من عمرى ، نادانى أبى ذات يوم وقال : ابنى الحبيب معين .. تعال واجلس فلدى أمر مهم يخصك .

وقد فهمت من طريقة كلام أبى أن القضية مهمة للغاية وجلست فى هدوء فوق لفافة من السجاد المطوى فى أحد أركان الحجرة ، وكان أبى وفقًا لعادته يجلس فوق مقعده الخاص ، وكان أمامه مكتب خشبى وسيع ، وقد وضع فوقه لوحة زاخرة بالنقوش والرسومات من أعمال فنانى أصفهان ، وكان بالقرب منه آلة حاسبة قديمة ، وكان الباب وجدار الحجرة مليئين بقطع من السجاد القيم الذى ينتمى إلى يزد وأصفهان وكاشان ، وكان هناك تمثال جميل لإمام المتقين على ، والذى أبدعه فنانو أصفهان ، وقد وضع فى مكان معين فوق رأس الأب بالحجرة ، ولاحظت أن الأب يلهو بأجزاء الآلة الحاسبة التى كنت أحبها كثيرًا ، والتى كانت شاهدًا على نشأتى .

ورفع أبى رأسه مرة واحدة ونظر إلى عينى نظرة حنونًا وقال بطريقة لطيفة :

ابنى الحبيب ، ترى أن كل شاب لابد وأن يتزوج ذات يوم ، وعندما سمعت كلام الأب ، احمرت أذنى خجلاً وأخذ قلبى يخفق شيئًا فشيئًا ، وواصل أبى حديثه فى هدوء وقال إن لدى آمالاً عريضة تجاهك ، وأحب أن أرى عروسك ، فأعظم أمنية للأب هى أن يرى عروس ابنه ، وكانت أحاديث الأب قد فاجأتنى ، فلم أكن أعرف ماذا أقول .

وكان لايزال أبى يتحدث حديثه الممتع عن زواجى وزواج شقيقاتى ثم ضحك وقال : تتمنى والدتك أن تراك فى ملابس الزفاف ، وقد اختارت لك العروس وقد رشحت لك (ماهرخ)

ولم أجعله يتم كلامه وصحت قائلاً : من ماهرخ هذه . ولم أُنه جملتى حتى قال أبى : إنك منذ عدة شهور قد جئت إلى الدنيا ، فاصبر قليلاً أتم كلامى .

وبينما كنت أغلى من الداخل تظاهرت بالسكوت حتى ينتهى أبى من كلامه ، وصمت قليلاً ، ثم واصل حديثه قائلاً : حسن يا بنى ، إن والدتك تقول إما ماهرخ وإلا فلا ، فابنة خالك جميلة ووجيهة ، وهى من أسرة ، فلو وافقت فإننا سنذهب معًا ليلة الجمعة إلى منزل العروس وننهى الأمر،فقلت دون أن أشعر : تنهون ماذا ؟ إنك تتحدث حديثًا لا طائل منه ، إذ إن ماهرخ مثل أختى وفى الحقيقة إن قلبى معلق بأخرى ، وبمجرد أن أخبرت أبى بهذا الأمر حتى سيطر علىّ الخجل وطأطأت رأسى إلى الأرض ، وأخذت أنظر إلى عينيه من أسفل بينما أشاح هو بوجهه إلى الناحية الأخرى ، وأخذ يتمتم ببعض الكلمات ، وفجأة اقترب الأب منى ووقف أمامى وأحسن صنعًا أنه لم ينظر إلىّ ، فكنت دائمًا أخاف من نظرات أبى ، وواتتنى الجرأة وقلت ! إننى أرفض هذا الزواج ، فأنا أريد الإنسانة التى أحبها .

وأسكتتنى صوت الأب الذى قال : لعلك تستطيع أن تعارض أمك ، إنها تريد الخير والصلاح لك ، وقد أثارت جرأتى الزائدة

غضب أبى ، وأخذ يكح ، فأحضرت له كوب ماء بسرعة ، فشرب قليلاً وأعطانى الكوب غاضبًا ، ومسح نصف شاربه بظهر يده وقال : انظر يا ولدى العزيز ، لا ينبغى أن يتسرع الإنسان ، فعليه أن يفكر أولاً ثم بعد ذلك يتخذ القرار ، ولا أرى أن الوقت مناسب للجدال ، ولذت بالصمت بعض الوقت بينما كنت أشتعل نارًا من الداخل ، لأن عقلى قد سلبته عينان خضروان ، فوجهها مثل قرص الشمس ، وذات شعر فى لون الحناء ، وهى ملاك حنون ، كما أن كل جوارحى متعلقة بهذه الفتاة الجميلة التى تدعى شيرين وهى اسم على مسمى .

والآن ، كيف أستطيع أن أنسى كل هذا العشق وهذا الحب وأتجاهل كل مشاعرى . وفكرت فى أننى أستطيع أن أقنع والدتى بالتدريج حتى تكف عن الجدال والعناد ، فلو أطعتها فإننى أكون قد اضطررت لأن أرضى بحياة لا أحبها ، فتوجهت للأب وقلت لا شأن لك بى يا والدى كما أن العشق أثار فى العناد ، فسأل والدى إلى أين أنت ذاهب ؟ فأجبت : إلى البيت ، وقال بشكل أهدأ من ذى قبل : لا مجال للجدال الآن .

وطأطأت رأسى ،وقلت : لا يا أبى هل أستطيع أنا أو غيرى أن يجارى الأم فى النقاش والجدال ؟ فملأت ضحكات أبى فراغ الحجرة وقال : حسن من لا يأتى بعصا موسى يأتى بعصا فرعون !

فنظرت إليه مباشرة وسألته : ماذا تعنى ؟

فسعل وقال : لاشيء يا ولدى ، انصرف ، وخرجت من حجرة الأب ، ولكن لم أقو على التحرك ، وأخذت أسير دون هدف فى الشوارع ، وكنت حائرًا ، وددت أن أتحدث مع أى شخص ، وأخذت أحدث نفسى : لماذا لا يفهم بعض الآباء والأمهات أبناءهم ولا يهتمون بأحاسيسهم ؟

إن الزواج ليس مثل شراء قطعة سجاد وبالفصال يمكن التوصل إلى أنسب سعر مثلاً ! ومن وجهة نظرى فإن أول ركن من أركان الزواج أن يكون هناك نوع من العشق والإحساس الطاهر لدى كل إنسان ، كما أن هذا العشق ليس بالشيء الهين الذى يستطيع الآخرون أن يحققوه ، بل يجب أن يثور هذا الإحساس داخل الإنسان .

وكنت أحدث نفسى مثل الأفراد التائهين ، وكان أغلب قلقى من ناحية أمى ، فعندما يمتلك الغضب الإنسان يصبح كالنمر الهائج ، بينما غضب الأب لم يستمر أكثر من دقيقة ، وكان أكثر تفهمًا للكثير من القضايا .

وكان قلقى يدفعنى إلى السير فى كل اتجاه ، حيث أفكر فى المفتاح الذى يحل لى هذه المشكلة ، وتوجهت إلى ضريح إما مزادة ، الذى كان بالقرب من حيّنا ، وقد ذهبت إلى ذلك المكان دون أن أشعر ، ودخلت فناء إما مزادة ، فقد كان لى منذ الطفولة علاقة خاصة بهذا المكان المقدس ، وكانت الروح المعنوية للإنسان

ترتفع بمجرد رؤية هـذا الضـريح ومـشـاهدة وجـوه الناس الذين شغـلوا بزيارته ، وجلست بجوار حـوض فى فناء الضريح حـيث كان مملوءاً بالأسماك الحمراء والبرتقالية .

فقلت لنفسى : إن هذه الأسماك ليست مـضطرة لأن تتزاوج جبراً ، ووضـعت يدى اليمنى بهدوء فى المـاء ، ففـرت الأسماك فـزعًـا ، وانعكست صـورة وجـهى فـوق المـاء ، وكـانت تهـتـز باستمـرار وهى فى الواقع مثل ركبتى اللتـين أخذتا فى الارتعاش من شـدة التـعب ، وربما أن القلق الشـديد قـد تسب لى فى هذا ، وعلى أية حال كنت أعلم أننى سوف أواجه مـتاعب كـثيرة بسب (شيـرين) ، وذهبت إلى صنبـور المياه وتوضأت ودخـلت الحرم ، وتوجهت نحو الـقبلة ، وأغمضت عينى وهمـست قائلاً : يا إلهى ساعدنى حـتى أحل هذه المشكلة الكبـيرة ، وأنا لا أحب مـاهرخ أساسًا ، ولا أقـول إنها فتاة سـيئة أو إنها ليست رزينـة أو جميلة ، ولكننى أحب فتـاة أخرى ، ليس الأمر بيـدى ، فالذنب ذنب قلبى الذى تعلق بفتاة أخرى .

يا إلهى كل أملى مرتبط بلطفك وعظمتـك ، وقد سعيت منذ الصغـر أن أكون العـبد الشـاكر والمطيع فى حـضرتك ، والآن آن الأوان أن تكافىء عبدك الحقير على الـسلوك القويم ، فأنا مستغن عن متاع الدنيا ، ولكن سعادتـى فى الزاوج من شيرين ، فساعدنى حـتى ترضى أمى بهـذا الأمـر .... آمـين . ومـسـحت باليـد على

وجهى ، ومررت أصابعى على عينى ، وشعرت بالسكينة أكثر من ذى قبل ، والواقع أن مناجاة الحق تعالى تريح الإنسان ، وتزيل الهم والحزن عن القلوب .

وخرجت من فناء إما مزادة ، وسرت فى سوق السجاد الذى كان يقع فيه إما مزادة ، وكانت المحال زاخرة بالأقمشة المتنوعة ، وفتشت جيوبى فرأيتها عامرة ، فكان يمكن أن أشترى عدة أمتار من القماش ، فنظرت نحو الحاج آقا ربانى فضحك كالعادة ضحكة كلها بشاشة ، إذ كان من أصدقاء أبى الحميمين ، فتقدمت وألقيت السلام ، واخترت من بين الأقمشة العديدة قطعة قماش .

وعندما كان الحاج يقيس قطعة القماش ، تساءل عزيزى معين ما الخبر ؟ فضحكت وقلت لا يا حاج ربانى إنى أشترى هذا القماش من أجل والدتى .

وفكر قليلا وقال : أحسنت إنك بالفعل ابن الحاج أمين وطوى قطعة القماش فى ورقة وأعطاها لى ، فتوجهت نحو البيت، وأخذت أفكر ، سوف تتعجب أمى كثيراً ، فهذه أول مرة أشترى لها هدية ، وماذا أفعل مع مريم ومهرى ؟ سأقول لم يكن معى نقود،وبالتأكيد سوف تصدقان ذلك ، ودخلت المنزل ، وتوجهت إلى الناحية اليمنى حيث حجرة أمى ، وكانت مريم ومهرى جالستين إلى جوارها ، وكان الجميع مشغولين بتجهيز مريم، وكان معلومًا أنها سوف تزف إلى زوجها فى اليوم التالى ،

إذ كـان السيـد (مهـدى) ابن عمى قـد خطب مـريم منذ شهـرين تقريبًا ، ومنذ ذلك اليوم فإن أمى لا تهـدأ ، فإما أنها كانت تذهب إلى السـوق لتشـتـرى شيـئًا ، وإمـا أنهـا كانت مـشـغولة بإعـداد حاجيات مـريم بإحدى الغرف ، وكانت تهتم بهذا الأمـر اهتمامًا كبيرًا لدرجة أن جلاب خـادمة البيت الشـابة لم تكن تستطيع أن تتدخل فى شئون إعداد جهاز العروس ، إذ إن الأم كانت تحب أن تتولى إعداد هذه الأمـور وحدها ، والحقيقـة أن المرأة كانت حسنة الفطرة ومحنكة ، ومنذ اليوم الذى نقل فيه جهاز معصومة الأخت الكبرى إلى منزل العريس ، وقـد ذاع صيت ذوق أمى لدى النساء اليزديات ، ولـمـا أنهن لم يشغلن بالهن بحضـورى فى الغرفة فقد غضبت كثيرًا ، وقلت معترضًا : ألهذا مريم هانم مهمة حتى أنكن لا تجبن على سلامـى ؟ ! فضحكت الأم التى كـانت سببًـا لمـا أنا فيه وقالت : وعليك السلام....معين حـبيبى ..لقد ظهر حَسَدك ، والحمد للّه أن (مهرى) بينك وبيننا وإلا وصلنا حسدك .

وضـحكت من أجل أن أصـرف نظر أمى عن جـهاز مـريم ، وقلت:أغمـضى عينيك حتى أعطيك الهـدية التى اشتريتـها لك ، فدهشت وسألت : هدية لى أنا ؟

أجبت : نـعم ، فنظـرت الأم إلى مريم ومهرى وسألت : يا ابنتى من أية جهة تشرق الشـمس اليوم ؟ فضحكت كل من مريم

ومهرى فى صوت عال وقالتا : من الغرب ورفعت صوتى وقلت : هذا المزاح كاف ، إذ إننى اشتريت قطعة القماش هذه حتى تحيكيها وتضعيها فوق المائدة عند العقد على مريم .

وقلبت الأم قطعة القماش فى سعادة غامرة ، وقالت : ألم يخطر على بالك أن يكون القماش شبابى وزاه ، فغضبت وقلت : القماش ، قماش ، ولا فرق بين شاب وشيخ فى هذا الشأن ، فهى قطعة قماش من أجل أن تكون مائدة العقد مبهجة وجميلة ، وعلى كل هذا ذوقى ، وخرجت من الغرفة متذمرًا ، وجلست فوق درجة السلم التى كانت تربط البهو بالفناء ، وشيئًا فشيئاً كانت الشمس على وشك الغروب ، وقد رأيت ضوءاً خافتًا عند نهاية جدار الفناء ، وألقيت نظرة متفحصة لأول مرة على كل الفناء وقد نُقش هذا الأمر فى ذكريات طفولتى وشبابى ، وكنت أضحك عندما أتذكر أننى كثيراً ما كنت أضرب باب الفناء الحديدى حتى يحدث جلبة ،فإذا ما هدأ الصوت نهضت من مكانى وبدأت فى الرقص ، وكنت أفكر قائلاً : كم من المتاعب تحملها أبى فى إنشاء مثل هذا البيت ، فلم يكن لمثل هذا المنزل نظير فى المنطقة ، وله باب خشبى ضخم من جزئين، يجذب دائمًا أنظار السائرين ، ولكل واحد منا حجرة خاصة بالبيت ، وكانت أبواب الحجرات كلها من الخشب الرقيق الذى تجمله أنواع الزجاج الهندسية ، وكان لدى إحساس عجيب حيث كنت أشاهد

كل مكان باهتمام زائد ، وكان شخص قد صاح داخلى : إنك سوف تترك هذا البيت سريعًا ، وللهروب من هذه الأفكار المفزعة شغلت اهتمامى بدجاجة الأم التى كانت تدل كتاكيتها على العش ، بينما كانت تلك الكتاكيت تتجه إلى الناحية الأخرى فى شقاوة غريبة . (وجلاب) التى لاحظت تواجدى فى الفناء ، تغطت بالحجاب جيدًا ، وشغلت بالماء ومكنسة الفناء ، ولعلها أرادت أن تبين لى أنها ما زالت حتى ذلك الوقت تمارس عملها ، وتركت ذلك المكان بمجرد ارتفاع الغبار والتراب ، وذهبت إلى غرفتى وكنت محتاجًا لقسط من الراحة حتى أستطيع أن أفكر جيدًا ، لأننى كنت أعلم أنه بعد إتمام زواج مريم سوف يأتى الدور علىَّ ، ولابد أن أكون جاهزًا للمواجهة ، وكانت الفرصة مهيأة لى فى صباح اليوم التالى حتى أذهب لرؤية شيرين مهما كانت رؤية أبى من هذا الزواج ، وكان والدى مشغولاً بتدخين النرجيلة ، وكانت الحجرة فى ذلك اليوم مغلقة ، إذ ينبغى عليهم أن يناقشوا أمور زواج مريم ، ووقفت أمام باب حجرته وألقيت السلام .

فترك دخان النرجيلة بين شفتيه وسأل :ماذا وراءك يابطل[1] ؟ فضحكت من كلام أبى ، إذ إن كلمة بطل هذه لم تكن محببة لدى، ولماذا لا أتماسك وأضطر يومًا لأن أربط حزامى أسفل البطن مثل أبى ، وعندما كنا نذهب إلى الحلاق معًا ، فقد كان أميرزا الحلاق يُضطر لأن يحلق ذقن أبى جزءًا جزءًا ، وكان يجب

عليهم أن ينادوه بالبطل،بينما كنت بـجواره مثل ذبابة لاوزن لها . وقلت حائرًا : بـعد إذنك يا أبى سوف أذهب مـباشـرة إلى ورشة سكينة هانم لنسج السجـاد فلو كـان السـجـاد جـاهزًا نقلناه إلى الحجرة بمساعدة (رضا) فنظر إلىّ الأب متحيراً ، وسأل ألم تذهب هناك منذ عـدة أيام وقالت لك إنه لم يجـهز بعـد ؟ كمـا أن اليوم لدينا أمور أكثر أهمية تتطلب ألا تذهب هناك .

فـحككت ذقـنى وقلت : ولكن من الممكـن أن يكون جـاهزًا الآن ، إذ قيل إن الصانع سوف يأخذ عمـلاً إضافيًا لإنهائه . ففكر الأب قليلاً وألـقى ببوصة النـرجيلة على الأرض ، ونهض واقـفًا وخرج من الغرفة وقال فى هدوء :

تعال ورائى يا معين ، فإنى أحتاجك ، ووقف فى أحد أركان الفناء ، ونظر إلى عينى وقال : تحدث بصراحة لأرى ما هى حكاية ورشة سكينة هانم ؟ ! وتحيرت ماذا أقول ؟ وفكرت قليلاً وقلت، لقـد تأخر إعـــداد غـرفة مـريم بعض الوقت فرمـقنى الأب بنظرة وقـال : أتظن أننى صـدقت ... لا يا ولدى إن الموضـوع غـير مـا تقول وهو أهم من هذه الأحاديث .

فطأطأت رأسى وقلت : سوف أشرح لك الموضوع بعد ذلك بالتفصيل ، ووضع الأب يديه على خصره وقال : ولكننى أريد أن

أعـرف الآن ، ونظرت حــولى ، ومن حُـسن الحظ لـم يكن أحـد يراقـبـنـى وقلت : عـدنى أن لا يعـرف بموضــوعى أحـد سـواى وسواك ؟

فمد يده وقال : أعدك .

فقلت متلعثـمًا : هل رأيت يا أبى ابنة سكينة هانم ؟ فضحك الأب وقال : أرأيت أننى لم أبلع الطُـعم ؟ وأخذ يتحدث بسـرعة وقـال : لقـد كنت يومًـا شـابًا مـثلك ولاعـيب فى هذا بشـرط أن لايكون نوعًا من اللهو وأن يتم فى الحلال .

فنظرت نحـو الأرض وقلت : أنا يا أبى لست شـابًا لا هيًـا ، وحيـاتى مـرهونة بهذه الفـتاة ، وسـألت عنها كـثيـراً والحمـد للّه وجـدتهـا كـمـا أردت ، فلمـعت عـينا والدى ونظر إلىّ حـائراً ، وسكت لحظات ولـم يـتحـدث وفـجـأة قـال ضـاحكًا : الآن أنت فكرت جـيـداً ، ولا اعـتـراض عندى ، علـى البـركـة .. يا على ، وأمسك الأب يدى وضغط عليها بحرارة وبكينا معًا ، وقال الأب فى هدوء : اصبر حـتى تتزوج مريم بالسلامـة ثم انظر فى أمرك ، فـقــبلت وجـهــه جـيداً وقلت : سـوف أظل حـتى آخـر العمـر خادمك .

ومع التعهد الذى أخذته على أبى ، فقد كنت قلقًا للغاية ، إذ إن ماهرخ سليلة أسرة عزيزة على أمى ، فلو رفضتها ، لا أعرف ماذا ستكون عاقبة الأمر معها ، وتوكلت على اللّه ، وشغلنا بالإعداد لأمور الزواج بمصاحبة (رضا) الذى تربى فى بيت أبى ، وقد لاحظت فى ذلك اليوم حركة غير عادية فى بيت أبى ، وكنت أشعر بالوحدة وسط هذ العمل الدائم لأسرتى ، وكان وجه أمى ضاحكًا وكانت دائمًا تنتقل من مكان لآخر ولم تمكث (جُلاب) المسكينة لحظة فى مكانها ، وكنت أحب أن أفعل شيئًا حتى أجذب نظر رضا إليها ، ولكن للأسف هى بنفسها لاتساعد على ذلك لأنها كانت فتاة غير منظمة مع تمتعها بقوام ممشوق ، وربما يساعدها الحظ يومًا ، وكنت أرغب فى أن أصرخ فيها : أيتها الفتاة هذبى شعرك المتناثر أو على الأقل اغسلى يديك ووجهك مرة كل يوم ، ولكن للأسف فإن مشاكل الحياة ألهتها عن ذلك ، وكان قلبى يحترق من أجلها ، وقد مات أبوها وهى فى سن السابعة ، وكانت أمى تعطف على أسرتها ، بل وأوجدت لها وظيفة ، إذ إن والدة (جلاب) كانت ترعى خمسة أبناء أيتام لها

بشق الأنفس ، وكـان رعاية أحد أبنائـها (جلاب) نعـمة كـبرى بالنسبة للأم ، وقد حدث ذلك فى بيت الحاج أمين ...

واشترينا مستلزمات الأم بصحبة رضا ، وعدنا على الفور إلى المنزل ، وودت أن أجـد مكانًا مـريحًـا لـكى أستـريح من عنـاء اليـوم ، وكـان ظل جدار الفناَء أفـضل مكان لذلك ، فـذهبت أنا ورضـا إلى هذا المكان حتى نسـتـريح ، فأحـضرت جُـلاب وهى تجرى دورق ماء ومعها كوب ، ومد رضا يده وتناول دورق الماء ، ومـلأ الكوب وشـرب ، وبمجـرد أن ابـتـعـدت عنا جـلاب عـدة خطوات سألت : مـارأيك فى جلاب ؟ فطأطأ رأسـه ، ومرر يده على شعره وقال : أتسخر منا ؟

فقـلت بشكل جاد : لاواللّه كنت أريد أن أسـألك عن وجـهة نظرك فى شأن هذه الفتاة .

فأجـاب رضا : فى الحـقيقـة ياسيـد معين أنا مـشغـول للغاية بوالدتى المريضة ، وبعد ذلك ليـفعل اللّه مايريد ، وهززت رأسى وقلت : وبعد هذا ؟

قـال يا سـيـد مـعين من لا يريد أن يتـزوج ويبنى أسـرة ، أمـا بخصوص جلاب فهى فتاة نجـيبة وجميلة ولكن أساس مشكلتى أننى مشغول بأخرى .

وربت على كتفه بيـدى وضغطت عليه وقلت دعك من هذا ، وملجأنا جميعًا إلى اللّه .

ولكن مع وجود هذا فسوف أخبر والدى بهذا الأمر - أمر رضا - وإن شاء اللّه وبعونه سوف تحل المشكلة ، وتفتح وجه رضا مثل الوردة وقال إنك مثل أخي وقد كنت منذ طفولتى فى كنف الحاج أمين ، وفى الواقع فأنا وأمى نعترف لأبيك بالجميل .

ونظرت إلى رضا خان واعترف بالحق إننى أقدر هذا الشاب المكافح وأحترمه ، وبينما كنت أفكر فيه سأل : أتجرأ وأقول إننى سمعت أنك ستتزوج ماهرخ هانم ، فقاطعت كلامه وقلت : لاتصغ للشائعات التى تلوكها النساء .

وبينما كنت مشغولاً بالحديث مع (رضا) وقعت عينى على مهرى التى شُغلت ببعض الأمور ، واعتذرت لرضا وتوجهت نحوها .

وسألت أين مريم ؟ لماذا لاأراها اليوم ؟

فضحكت مهرى فى شقاوة وقالت : إن رؤية العروس الهانم تكلف كثيراً ، فمددت يدى فى جيوب سروالى ووضعت فى يدها بعضاً من النقود الصغيرة .

فنظرت إلى النقود فى استهزاء وقالت : هذه هى النقود فغضبت وقلت لاأريد أن أرى العروس يا مهرى .

فضحكت وقالت : لاتغضب إذ إن العريس قد أخذ العروس إلى الحمام ، وبعد نصف ساعة سيعودان إلى البيت أكنت تريد أن

تراها حقيقة . فنظرت إلـى السماء وقلت : الآن أفوض أمرك للّه فضربتنى على صدرى بعنف وقالت : هل فكرت إذ ينبغى عليك أن تنثر حفنة نقود فوق رأسهـا .. أفهمت ياأخى .. حفنة نقود .. فـوضعت يدى فى جـيوبـى وقلت : لاأريد أن أراها يا مهـرى ، فغـضبت مـهرى وقـالت : إن شاء اللّه سـوف يأتى الدور عليك يومًـا مـا ، وسأرى مـاذا يكون إنفـاقك ، فـرق قلبى لكلامـهـا ، ومددت يدى على رأسها وقلت : حبيبتى مهرى لم أقصد ، فقط لا أعلم لمـاذا اليوم أنا مكدر فاعفى عنى ..

وقد تمت المراسم العظيمة لنقل العروس من منزلنا .

وكنت أعيش فى عـالم آخر ، غير عالم الآخـرين ، وقد بدت سـعادة النسـاء والأطفال أمـامى فى شكل جلبـة ، ولـم أكن أنظر بانبهار لمقدم الضـيوف الذين ارتدوا الملابس الملونة ذات النقوش الجميلة ، إذ كنت أفقد شـيئًا لـم يكن موجودًا، وهو أن أرى ذاتى فى هذا المشـهد الجمـيل ، ومشـهد العـروس الجميلة التـى كانت تجيب على المأذون بقولها : نعم .

وكنت أتخيل مـشهد سـفرة العقـد العظيمة حـيث أتقابل مع عروسى شيرين ، وكنت أريد أن أتذوق بفمى طعم شيرين الحلو من رأسها حتى أخـمص قدميها ، وكأن جـميع الحاضرين الذين تجـمـعوا فـى الفناء كـانوا يغنون من أجلى أنا أغنيـة السـعـادة ،

وتمنيت أن أظل لساعات غارقًا فى رؤية هذا الوصال الجميل لشيرين ، ولكن وا أسفاه ، فإن اللحظات الجميلة للحياة سرعان ماتزول ، وصحوت من حلمى على صوت أمى التى راحت تنادينى ، وأدركت أن هناك فراسخ من المسافات تبعدنى عن الحقيقة .

وكان قد مر نصف الليل ، وتعب جميع أهل المنزل من جراء تبعات الزفاف ، لهذا فقد استغرقوا فى نوم عميق ، وكلما تدحرجت فى الفراش طار النوم من عينى ، وكنت نصف يقظ فى الفراش وعم الصمت العجيب أرجاء البيت ، وتوكأت على الجدار الذى بجوار سريرى وأخذت أنظر إلى السماء ، وكانت السماء صافية ومليئة بالنجوم ولم يكن هناك أثر لنسحاب يمكن أن يخفى هذه النجوم وأخذت أعدها ولكن سرعان ماتعبت من العد ، وكان قد اصطف عدد من تلك النجوم ذات النور المتلألئ فى السماء .

وكان هذا المنظر بديعًا ، وكأن بعضًا منها كان يضحك للإنسان ، وكان بعضها يتلألأ وكأنها تلامس بعضها بعضًا فى النور والضياء ، وأحسست وكأننى جلست وسط الصحراء ، وكان اتساع السماء باعثًا على أننى لا أحس بضآلة الفناء .

وتعبت فخفضت رأسى وقلت لنفسى إن النوم المريح نعمة كبرى للإنسان ، ومنذ فترة من الوقت لم أنم نومًا مريحًا ، ولم يفارق وجه شيرين الجميل ابنة سكينة هانم عينى قط ، خاصة أول

يوم طرقت فيه باب بيتها ، وانتظرت حتى يفتح لى أحد باب البيت ، وسأل صوت لطيف من بالباب ؟

فأجبت أننى أريد سكينة هانم ، وفُتح الباب الخشبى للبهو ، وفى تلك الأثناء ظهر وسط الباب ملاك جميل يضع على الرأس رداء الصلاة الأبيض وهمس فى صوت رقيق :

عفواً ياسيدى إن والدتى ليست بالمنزل ، وألقيت السلام متعثراً فى النطق ، وأردت أن أتحدث ، ولكن صوتى كان يرتعش ، فخشيت أن يثير تصرفى السخرية ، وتمهلت قليلاً وأخذت أنظر إليها بكل جوارحى وقلت فى نفسى ، جل الخالق الذى منح هذه الفتاة كل هذا الجمال حتى إننى لم أر عينين خضراوين بهذا الجمال قط ، وذات شفاه ياقوتية لونها بلون البرعم الذى تفتح منذ قليل .

كما أن بعض الشعيرات الذهبية التى خرجت من تحت ردائها قد منحت جبهتها جمالاً خاصًا ، وتاهت نظرتى فى كل هذا الجمال دون أن أشعر ، وخوفًا من أن تظن أننى شخص مجنون بدأت فى الحديث بصعوبة وقلت : أنا ابن الحاج أمين ، كان أبى قد أوصى والدتك على عدة تابلوهات من السجاد ، وتغير الموعد إلى اليوم .

وجذبتنى شيرين الساحرة وقالت : بالفعل والدتى ليست موجودة فإن لم يكن هناك مشقة عليك ، شرفنا بعد ساعة أو

ساعتين ، يا إلهى ، عندما كانت تتحدث ،فكأن شخصًا قد أمسك بقلبى ، وكأننى تسمرت بالأرض ، ولا أقوى على التحرك مطلقًا ، وفكرت قليلاً وقلت : ليكن ، وسوف أعود بعد ساعتين وبعد أن ودعتنى دخلت البيت دون أن تنتظر انصرافى ، وأغلقت الباب أمامي ، وأصبحت ثائرًا وأخذت أنظر إلى باب الفناء المغلق ، وقد حدث كل شىء بسرعة البرق ، وفى الحقيقة مثل حُلم .

وسرت ببطء وكنت قد تغير حالى تمامًا ، فلم أهتم بما حولى حتى أننى لم أحس بذاتى مثل جسد بلا روح ، ومنذ تلك اللحظة لم أكن معينًا السابق ، فقد سلبتنى تلك الفتاة كل عقلى وحواسى ، حتى أننى بعد أول لقاء بها لم تعد لى شهية قط للطعام ، وكنت قد خلدت ساعة إلى النوم وأنا فى قمة الحسرة وكان الحظ وحده هو الذى يمكن أن يساعدنى حتى أتحجج بموضوع السجاد ، فأذهب إلى بيتها بسهولة ، فإذا ساعدنى الحظ بالفعل فى أن تكون شيرين نفسها هى التى تفتح باب البيت ، ولكن الآن تمر فترة على أول لقاء ، وقد فهمت أن إدراك الآمال يتطلب الصبر والتروى ، وقد اضطررت لأن أصبر على تحقيق أملى .

وقد مر على زواج (مريم) عشرة أيام ، وكان قد عاد البيت إلى حالته الطبيعية ، ولكن مكان أختى كان واضحًا فى البيت ، وكان غيابها محسوسًا للغاية .

وقد ضـقت ذرعًـا بالبيت ، فـاضطررت لأن أذهب إلى منزل العمة (رباب) حـتى أكون قريبًا من (مـريم) وعند العودة أقنعت نفـسى بأنه فى النهـاية سوف نجـبر جـميـعًـا على ترك بيت أبى ، ودخلت ثانية بهـو المنزل فنادت علّى الأم وقالت : حـبيبى مـعين تعالى فـإنى أريدك ، فخفق قلبى على الفـور ، فقد كـانت نبرات صوت الأم مخـتلفة ، فقلت لنفـسى : ماذا تريد الأم منى فى هذا الوقت ؟

ووقفـــت أمام باب الحجرة وسـألت : نعم أتريدين منى شيئًا يا أمى .

فنظرت إلى وجـهه وقـالت : تعال ياولدى ، فـهناك موضـوع يجب أن أحدثك فيه ، ودققت النظر فى أمى . فلم أتبين شيئًا من وجهها أخشاه ، ولكننى أحسست أن قلبى غير مفزوع بلا سبب.

وبفارغ الصـبر دخلت غرفـة والدتى ، واقتـربت منها واتكأت على الجدار ، وشغلت بمجـموعة مفاتيـحى ، ونظرت حائرًا نحو المفاتيح ، ولعدة لحظـات لم أسمع شيئًا سـوى صوت رنين المفاتيح ، وكانت الأم مـشغـولة بإتمام بعض الأمور ، وعند رؤيتى تـوقفت وقالت ضاحكة :

حبـيبى معـين ، كنت قد قلت لأبيك أن يفاتحك فى مـوضوع (مـاهـرخ) ، والآن كنت أريد أن أعـرف وجـــهـة نـظرك فى هذا الموضـوع على الرغم من أنـنا قد أنـهيـنا هذا الأمـر منذ زمن مع خالتك .

ونظرت إلى وجه الأم ولم أنطق بكلمة .

وواصلت الأم الحـــديث : كنت أريد أن أعـــرف ، إن كنت موافقًا إن شاء الله يوم الخميس نذهب معًا إلى بيت خالتك .

وسألت مترددًا لماذا نذهب ؟

فأجابت الأم : أقرأ الروضة[٢] - لك - لمدة ساعة كاملة .

وتسألنى ثانية لماذا ؟ لخطبة ماهرخ ثانية .

وتمهلت فى الجلوس قليلاً ، واتكأت على الجدار بقوة وقلت : أنا بالفعل لاأريد الزواج يا أمى ، فسألت فى نبرة حادة أتعنى أنك لاتريد الزواج ؟ أجبت :

ما أعنيه أن ماهرخ مثل أختى ولا شأن لى بها .

وعندئذ تغيـر وجه الأم ، وصاحت : تعنى بهـذا الحديث أنك تعارض الزواج منها ؟

فأجبت : نعم مائة فى المائة معارض .

وتورمت عـروق رقبـتهـا غـضبًـا ، وصاحت وقـالت : تكون محرمًا علّى ، وألعن اللبن الذى رضعته من صدرى .

ولن أسمح لأية فتاة أن تدخل هذا البـيت كعروس أبدًا ، وقد ملأ صياح الأم فراغ الغرفة وأخذت تلعن ابنها غضبًا منه .

فقلت بهدوء ، ليكن يا أمى فلو أردت الزواج يومًا ما فلن آتى بزوجتى إلى هذا البيت مطلقًا .

فزاد صراخ الأم عند سماع هذا الكلام وقالت : ابن عاق وقد طال لسانك كثيراً ، ولكن الكلام النهائى ، إما ماهرخ وإلا فلا !

فطأطأت رأسى وقلت : كونى عادلة يا أمى . إذا إننى أريد أن أتزوج من الفتاة التى أحبها ؟ فثارت الأم وقالت : لاتظن أن من يتزوج من الأولاد والبنات يعيشون قصص العشق ؟ إن هذا العشق يأتى شيئًا فشيئًا ، واقتربت من الأم أكثر وأمسكت يديها وقلت بهدوء .

والدتى الحبيبة إننى أحب فتاة أخرى ، فشدت يديها بعنف منى وقالت : نعم لقد صدق ظنى ، فقد تغيرت شيئًا فشيئًا ، وبعد عدة أيام سوف أرى (السيد معين) مضطرب الحال .، قلت : ليس يا أمى العزيزة الموضوع كما تظنين .

فهزت الأم أصبع السبابة نحوى وقالت : معين ... قسمًا باللّه الواحد الأحد ، ولم لم توافق بملء إرادتك على هذه الزيجة فلا أنا أمك ولا أنت ابنى ..

فخرجت من حجرة أمى فى حالة يرثى لها ، وتوجهت مباشر إلى حجرة أبى ، وكان مشغولاً بمحاسبة بعض المشترين ، وجلست بهدوء فى أحد الأركان بينما كنت أغلى من الداخل ، وأنهى أبى عمله وتوجه نحوى وسأل : هل غرقت سفنك ؟ فنظرت حولى فى الحجرة فمن حُسن الحظ أن رضا لم يكن موجودًا فتوجهت نحو الأب وقلت : انظر يا أبى لقد ثارت الأم

فى ، إذ نادت اليـوم على لتـقول إمـا مـاهرخ وإلا فـلا ، فضـحك الأب ساخراً وقال هذه القصة قديمة ، فأثارنى هدوء أبى، وقلت : دع المزاح جـانبًـا يا والدى ، وأرغب فى أن تحـددوا مـسئـوليـتى ، فليس لديكم طـفل آخر تـفكرون فى شـأنه فقـد تعـبت من لعـبـة الغـمْضـية ، هـذه والآن فأنا حـر ،وليسـت لدى مشكلة أخـرى ، وسكت للحـظات حـتى أسـمع وجـهـة نظـر أبى ، فـدخل رضـا بالنرجيلة وكـان خارج الحـجـرة ، ووضـعهـا فـوق مكتب الأب فحـسدته لحظة وقلت فى نفـسى هنيا لك يا رضـا فليس هنـــاك أحد يتـدخـــل فى شـئونك ، وأخـذ يدخن النرجيلة ثم سـعـــل وعندما توقف عن السعال قال : اطمئن : سأرسل العمة رباب إلى والدة تلـــك الفتاة

قال ما اسمها ؟

فـأجبت على الفـور : شيـرين .. شيـرين يا أبى وواصل الأب حديثه قـائلاً : حتى يتحدثن مع أم شيرين وسـألت : ماذا نفعل مع أمى يا أبى ؟

وسـعل الأب ثانية وقـال : الليلة سـوف أتحدث مـعهـا حديثًـا مفصـلاً ، فإذا رضيت كان بهـا ، وإذا جادلت ، لتفعل مـا بدالها ، وأنا وأنت لسنا مذنبين .

فقلت لنفسى : حسن لقد أراحنى حديث أبى ، وكأن أى شىء لم يحدث .

وسألت : متى سترسل يا والدى العمة رباب ؟ فضحك وقال : ليلة الخميس وقت مناسب .

قلت : حسن جدًا لا أصاب يدك مكروه ، ونهضت من مكانى وقبلت يد أبى .

وبينما كان يضحك وضع يده على رأسى وقال : لماذا هذا الأمر ؟ فهذا عملى ، ولابد أن ألبى مطالب ابنى وهذا لايحتاج إلى شكر منك ، فانهض ، وإذا جئت الحجرة أوجلست فى ركن منها فلا تحزن ، وقد أشعرتنى يده التى وضعها فوق رأسى بالهدوء والسكينة وقلت : سمعًا وطاعة يا والدى ، فأنا خادمك ، ولكن هناك موضوع آخر يجب أن أحدثك فيه.

سأل : ماذا هناك ؟ قلت : إنه يتعلق برضا ، فلو كان بالإمكان فقد ربيت رضا وجلاب ورعيتهما ، فملأت ضحكات الأب فراغ الحجرة من السعادة ، وتروى قليلاً ثم قال : اصبر علىّ حتى أنهى موضوعك أولاً ، وبعد ذلك أفكر فيهما.. أحسنت يابطل ويسعدنى اهتمامك البالغ بالآخرين أيها الزاهد فاقتربت عدة خطوات من والدى وقلت : إن كل ألقاب الدنيا جديرة بك وتستحقها أنت ، أما أنا فأحقر من أن أكون زاهدًا .

فهز الأب رأسه مثنيًا على كلامى وقال : هذا كاف يا معين فقد أتخمتنى ثناءً ومدحًا .

قلت : لايا أبى أنت بالفعل صادق وحنون للغاية ، إنك لا تعوق سعادة الاخرين والحياة عندك لها قيمة ، وأنا دائمًا أفتخر بك .

وسكت الأب لحظات ، حتى أنه لم يكن يُسمع سوى صوت النرجيلة ، وفكر قليلاً ثم قال : لقد انتهت هذه الأحاديث هل أخذت السجاد الذى كنت قد أوصيت عليه سكينة هانم ؟

وضحكت وقلت : نعم ، لقد ذهبت هناك ياوالدى وأتيت وقد اضطررت لأن تستبدلها ، ووضعتها جميعًا داخل المخزن بجوار المكتب ، فنظر الأب إلى وجهى فى حنان وقال : إن الزواج الذى ذكرته يريح بالى . وتستطيع أن تدير العمل بمفردك ، فقد تعبت وينبغى أن أسافر بصحبة أمك إلى (مشهد) .

قلت : لك الحرية يا والدى ، فأنا شيئًا فشيئًا تلميذك الصغير ، وليحفظك اللّه لنا .

وبعد خمسة عشر يومًا من هذا الحديث الودى بينى وبين الأب ، أقيمت مراسم بسيطة لإنهاء عقد زواجى من شيرين ، وذلك بحضور العمة رباب والأب فى منزل أسرتها ، وقد أرسلنى أبى مع شيرين لمدة عشرة أيام لزيارة مشهد المقدسة وذلك تعويضًا لنا عن مراسم الزواج البسيطة .

ويا له من سفر جميل ، لايمكن أن ينُسى بصحبة زوجة حنون نجيبة ، هى ملاك فى هيئة إنسان وأحسست أن ملائكة اللّه كانت تُغنى فرحًا من أجل سعادتى وسعادة عروسى الجميلة ، وبعد عشرة أيام من زيارة مدينة مشهد والسياحة فيها تركناها وتوجهنا إلى (يزد).

وربما بعد الغيبة عشرة أيام ، يكون فى هذا الابتعاد المبرر الذى يشفع لى عند الأم من أجل استقبال عروسها ، ولن أنسى مطلقًا تلك اللحظات التى عدنا فيها إلى المنزل ، وعند رؤية الأم لشيرين هكذا ثارت ثورة عارمة ، وراحت تشتم دون أن تشعر ، لدرجة أن هذه الشتائم واللعنات قد سمع بها كل الجيران فى الحى ، وأخذ الجميع يسأل ماذا حدث ؟

فخرجت أنا وشيرين من المنزل وجلسنا فى ركن معًا .

فخرجت مهرى من البيت ووقفت أمام البيت وأخذت تبكى وأخذت جاراتنا يسترقن السمع أمام الباب ، ويتهامسن وكان هناك طفلان صغيران ينزلقان من مسافة قريبة لنا .

ولم نجرؤ على أن ندخل البيت خوفًا من أمى ، وأخذت شيرين تبكى ، فرق قلبى لرؤية تلك العينين الخضراوين الجميلتين اللتين راحتا تبكيان مثل مطر نازل من سحابة ، وأغلقت الأم الباب فى وجهينا بشكل عصبى وثائر .

ونظرت إلى شيرين ، فرأيت أنها غارقة فى بحر من الحزن وراحت تبكى بصوت عال قائلة : لماذا لم تُرض الأم ، إننى لم أظن أنها بهذه العصبية .

فهدأت من روعها وقلت إن أبى سوف يضع الأمور فى نصابها ، فلا تقلقى .

وكنت خجلاً من تصرف أمي وأحسست بالاحتقار حتى أن جاراتنا رُحن ينظرن إلينا بشكل عجيب وكأننا ارتكبنا جرمًا عظيمًا .

ونظرت إلى شيرين وقلت : سامحينى ، فلم أر أمى بهذ الحالة الغاضبة أبدًا ، فقالت شيرين مكرهة لا بأس افعل كل ماتريده وشيئًا فشيئًا سوف تهدأ .

وبينما كانت تقول شيرين هذه الجمل ، كانت قطرات الدمع تتساقط من عينيها ، فأشعل هذا المنظر النار فى قلبى ، ولكن فى تلك اللحظات لم يكن لى حيلة سوى الصبر ، وكانت الشمس قد نشرت أشعتها الحارة فوق كل الحى ، وكنا قد انتظرنا فى الظل أمام مدخل البيت .

وكانت اللحظات تمر ثقيلة ، وسرعان ما بدا علينا التعب والنصب وقد انتظرنا على هذا النحو ما يقرب من ساعة كاملة ، وفى النهاية وصل الأب حيث كان يحمل أكياس الفاكهة فى يده ، وكان ينظر إلَّى أنا وشيرين فى حالة اضطراب ، فتقدمت وألقيت السلام ، فأجاب الأب سلامى متشككًا وسأل : ماذا حدث يابنى ؟

ونهضت شيرين من مكانها واتجهت إلى الأب وألقت السلام وسأل الأب ثانية : لماذا تجلسان بالخارج ؟

قلت لاشىء ياوالدى ، فقط أمى غاضبة بعض الشىء .

وقد انتظرنا مجيئك ، فوضع الأب غاضبًا أكياس الفاكهة فوق المنصة ، وطرق الباب بشاكوشه بقوة .

وفتحت مهرى الباب ، وقالت : أهلاً يا والدى .

فأزاح مهرى من طريقه وقال : السلام وسُم الأفعى ، والدتك ماذا فعلت .. ولماذا تتصرف هكذا مع الأولاد ؟ وخوفًا من أن يتشاجر مع الأم ، اعترضت طريق أبى وقلت : أستحلفك باللّه يا والدى لاتزيد الأمور سوءًا فلو أردت اليوم أن تتحدث مع أمى فى هذ الشأن ، فتحدث معها جانبًا .

وأزاح أبى يدى وثار قائلاً : أنا لم أمت بعد حتى يطرد ابنى وعروسه .

والأم التى كانت تعلم أن زوجها يعانى من مرض ضغط الدم ، لم تخرج من غرفتها مع سماعها لتهديداته وتوعداته التى انتهت بهذا الغضب .

فحملت حقيبة السفر ، وذهبت أنا وشيرين مباشرة إلى الغرفة ، وقد سمع صوت الأب المصحوب بضجيج الأم فى البيت ولكن شيئًا فشيئًا ساد السكون به ، وناديت مهرى وقلت : أختى الحبيبة إن شيرين غريبة عنا ، فلو احتاجت شيئًا ، أحضريه إليها ، وهزت مهرى رأسها بينما كانت تبكى وقالت : سمعًا وطاعة يا أخى استرح بالاً فلن أغضب زوجة أخى .

وقبلت جبين مهرى وقلت : من الآن فصاعداً ، كل أملى أن تكون شيرين أختًا طيبة لك .

فنظرت إلى بحنو وقالت : أخى .. سوف يتحقق أملك .

وكانت شيرين قد انتهت من مشاهدة حجرتى .

وكانت تنظر إلى كل ركن فيها .

وسألت : لماذا أتيت بكل هذه الكتب ؟

فضحكت وقلت : هؤلاء خير أصدقاء فى أيام وحدتى فأنا أقضى معظم أوقات فراغى معها ، وبعضها كتب المدرسة الثانوية .

قالت : ماهذا السجاد الجميل الذى بسطته فى الحجرة .

قلت : هل نسيت أننى تاجر سجاد ؟

ونظرت إلى شّيرين فى حنان وقالت : عفواً سيدى تاجر السجاد ، وسكتت لحظة وقالت : كم كلف الإعداد لزواجى ؟ وأين يمكن أن أضع حاجياتى ؟ فلا أظن أن أمك سوف تسمح بأن أحضرها إلى هذا المنزل .

وفكرت ثم قلت : استريحى بالاً فلن نمكث هنا كثيراً ومن الغد سوف نذهب إلى بيت قريب من عمل أبى .

وقاطعتنى شيرين وقالت : لو صبرت قليلاً لرضيت أمك ، وما حدثت كل هذه المشاكل ، ولماذا لم تتزوج ابنة خالتك ؟ قلت : وهل تركتنى عيناك الساحرتان لأن أفعل ذلك ؟وضحكت ضحكة جميلة ، وسعدت بمشاهدة ضحكتها ، ويبدو أنها كانت قد نسيت بسرعة اعتراضات أمى ، أو ربما كانت تتظاهر بنسيانها .

ونظرت إلّى ثانية وقالت : حاول يا معين أن تكسب قلب أمك، وليست والدتك مذنبة ، إذ إن كل ما فى الأمر أن والدتك غاضبة بسبب الوعد الذى كانت قد أعطته لخالتك .

وقلت معترضًا : أتظنين أن الذنب ذنبى ؟ قالت : لاأقول إن الذنب ذنبك ، ولكن كان ينبغى أن ترضى والدتك بالصبر والتروى .

فضحكت وقلت : لنفترض أننا أصبحنا مديونين ، فيجب على عندئذ أن أصبر حتى ترضى أمى ومن ثم سوف أتزوج وأنا شيخ ممسكًا بعصاى داخل الحجلة .

وملأ الصوت الضاحك لشيرين فراغ الحجرة وسُررت إلى أقصى حد عند رؤية وجهها الضاحك ، وطُرق الباب عدة طرقات، ففتحته ، فرأيت أنها (مهرى) ، وكانت الطفلة تحمل طاولة زاخرة بأنواع الطعام ، فأخذتها منها ، ودعوتها إلينا بإصرار

أن تدخل لتشاركنا الطعام ولأول مرة احتضنت مهرى شيرين وقبلتها ، وهنأت العروس ، فشكرت شيرين بتواضع صنيع مهرى ، وقالت : حبيبتى مهرى لماذا أتعبت نفسك ؟

فأجابت مهرى : الأمر لكما يا زوجة الأخ ، وأنا أساسًا لم أتعب نفسى قط .

فذهبت شيرين إلى حقيبة سفرها ، ووضعت أمام مهرى الهدايا التى كانت قد اشترتها لأمها ولنفسها وقالت : هذا شىء متواضع .

فضحكت مهرى وقالت : لا أصاب يدك مكروه .

لقد أتعبتك .

لقد سعدت من العلاقة الحميمة لزوجتى وأختى ، وجلست جانبًا حتى أهيئ الفرصة أكثر لكى تتعارف كل منهما على الأخرى ، إذ إن وجود مهرى فى البيت سوف يجعلنى مستريح البال تجاه شيرين ، وقد تهيأت لى الفرصة حتى لا أكون قلقًا فى غيابى على زوجتى ، وقد كنت طول السفر فى غاية القلق من أن تؤذى والدتى شيرين بلسانها فى غيابى ، مع حسن النية ، الذى كان فى سلوك مهرى فقد استرحت بالاً ، إذ إن شيرين كان يمكنها أن تقضى معها أغلب أوقاتها ، وقد قضينا ما يقرب من شهر أو شهرين فى مشاكل مع الأم فى بيت أبى . وعلى الرغم

من أن مضايقات أمى كانت تؤذينى إلى حد كبير ، إلا أننى بمساعدة أبى اشتريت بيتًا صغيراً بعيداً عن مقر سكننا ونقلت أثاث شيرين هناك ، وكانت قد بدأت اللحظات الحلوة بدون مضايقات الحياة شيئًا فشيئًا ، وعشت أنا وشيرين جنبًا إلى جنب بدون أية مشاكل ، ولكن هذا الهدوء لم يكن بهذا المعنى ، أننى تركت أسرة أبى تمامًا ، ولم أشغل نفس بحياة أمى ومشاكلها ، بل كنت أحاول دائمًا أن أوثق عُرى الروابط بين أسرتى وزوجتى ، وكنت أتذرع بأية حجة وأشترى هدية لكى نذهب بصحبة شيرين لرؤية الأم ومهرى ، على الرغم من أن عبوس أمى كان يفسد متعة اللقاء ، ولكننى لم أنس دائما أن أكون ذلك الابن الذى يحترم والديه ، لأننى كنت أدرك أن كل شخص إذا احترم أحداً فهو يحترم ذاته .

أما والدتى فكان لها شأن آخر ، وكان علىَّ أن أتفهم أخلاق أمى وإدركها الإدراك الصحيح لهذه الحقيقة ومن حسن الحظ أن تحمل هذه الأحداث كان باعثًا لأن ترضى عنى أمى وترضى كذلك عن عروسى شيئًا فشيئًا .

ولعل القدر لم يرغب فى أن نرى وجه السعادة فى بداية حياتنا ، ولعل كذلك لعبة المصير قد كتبت علينا شيئًا آخر، وذات يوم عُدت عصراً إلى البيت، وكان الجو به ضباب وخانقًا للقلب، ونظرت فى اضطراب إلى حال شيرين وسألت بسرعة ، أحدث

شيء ؟ فتجاوزت حزنها وقالت : كانت أمك هنا ، وبعد أن جلست طويلاً وتحدث كثيرًا سألت : أصحيح ياشيرين ما تشيعه النساء من أنك عقيم ؟

فقلت متعجبة ، ما هذا الحديث فأنا مازلت سيدة شابة لم يمر على زواجي أكثر من عامين ،وحتى الآن لم أذهب إلى دكتور حتى أعرف إن كنت عقيمًا أم لا ، فضحكت الأم نحوى وقالت : ألف ما شاء اللّه إن ابنتى مريم تحمل ابنها وأنت تقريبًا تزوجت فى الوقت نفسه معها .

فرددت عليها : حسن إن هذا ليس بيدى وكل شيء بأمر اللّه.

وبعد أن سمعت حديثى ، تأوهت وقالت : لا أعلم أى نصيب لابنى وأية قسمة هذه ؟ وإن ما أعلمه فقط أن هذا ظلم له .

وبعد أن وقعت هذه الحادثة فى ذلك اليوم (الحوار مع الأم) ذهبت شيرين إلى غرفة أخرى ، وكان صوت بكائها يعذب قلبى ، وقد أثر هذا على نفسيتها ، فتوجهت إليها وحنوت عليها وقلت : انهضى ودعك من هذه الأوهام وسوف آخذ لك موعدًا مع الدكتور حتى أثبت لكل الأسرة أن زوجتى قوية وسالمة إلى حد كبير ، فأنا لاأطيق صبراً على بكاء الأطفال .

فنظرت إلىّ شيرين نظرة كلها تفاؤل ، ونهضت من مكانها فقلت لها أن تغسل وجهها وأن تجمل هندامها ، ومنذ اللحظة

التى خرجت فيـها من الغرفة ، قطعت عهـداً على نفسى فى حالة لو كانت شـيرين عـقيـقًا ، أن أغادر مـدينة (يزد) إلى الأبد ، وأن أذهب إلى مدينة أخرى .

وغداة ذلك اليوم ذهبنا بصحبة شـيرين إلى أفضل طبيب نساء وتوليد فى مدينة يزد .

وقد مـرت أربعة شهـور على أول زيارة لنا لعيادة الدكـتور ، وفى النهـاية هز الدكتـور منصـورى رأسه آسـفًا بينمـا راح يعيـد وضع نظارته فوق أنفه .

وقال : لقد فعلنـا كل مايجب علينا ، ولكن للأسف ، فإن كل التجـارب تؤكد على عدم قـدرة زوجتك على الحـمل ، حتى أننا بحـثنا أضـعف الاحتـمـالات فى هذا الشـأن ، ولكن لاحـيلة لنا سوى قول الحقـيقة وهى للأسف إن زوجتك ١٠٠٪ عقيم ، وقد بُذل فى هذا الشـأن كل عمل من الناحـية الطـبيـة ، إلا أن تحدث معجزة طبية .

وعندما سمعت شيرين هذه الحقيقة المرة بُهتت وشحب لونها ، وكأن روحها فصلت عن جسـدها وهى لم تتحدث أساسًا ، ولـم تبك أيضـًا ، وانزوت كتـمثـال فى ركن ، وتبـدل حالهـا وكأنهـا ليست تلك المرأة شيرين التى كـانت تضحك دومًا ، وكان داخلى يغلى من الأسى والحزن ، وكنت قلقًا على شـيرين ، وبدا اليأس

مرسومًا على وجهها إلى أقصى حد ، وكأن ثقتها بى قد اهتزت ، وذات يوم قالت لى فى صوت أشبه بالأنين : ما هو دورى ؟

فارتعدت عندما سمعت هذا الحديث وقلت : ما هذا الحديث الذى تتحديثنه وكأن استمرار حياتى وحياتك متوقف على وجود طفل ، لقد قلت قبل ذلك مراراً ، أنا لا أهتم بالأطفال فإن لم تصدقى أكتب ذلك وأوقع عليه .

فانهمر دمعها الذى كان قد حبسته لأيام ، ومن كثرة البكاء سقطت مغشيًا عليها ، فساد الحزن أرجاء المنزل ، وشيئًا فشيئًا ذبل وجه شيرين الجميل ، ولم تعد تختلط بأى شخص ، ولا ترغب فى رؤية أية امرأة .

حتى أنه فى اليوم الذى جاءت فيه مهرى للاطمئنان عليها ، فقد احتجبت عنها وذهبت إلى غرفة أخرى، والموضوع الآخر الذى كان يؤلمنى أكثر ، من هذا هو وجه أبى القلق الذى كان يحز فى نفسى وكلما أقسمت له أننى أساسًا غير قلق من هذا الأمر لم يكن يصدقنى ، وكان دائمًا ينكأ جراحى وذات يوم كانت الحجرة فارغة ، ولم يكن يجلس بها أحد سواى ،وفكرت كثيراً ، فكان السبيل الوحيد للتخلص من هذه المشكلات هومغادرة (يزد) .

وبهذا السفر ستقتنع شيرين أنه لم يعد هناك أى خطر يهددها من ناحيتى ، ولأول مرة بعد فترة طويلة رأيت بريق الأمل فى

عينيها ، وبعد التشاور معها وجدنا أن أصفهان أنسب مكان للعيش فيها . وبعد ذلك أقنعت والدى أن أفضل طريقة لاستمرار حياتى هى أن أنفصل عنه ، وقد وافق أبى الذى كان يعلم بمدى حبى لزوجتى وحياتى حتى أنه يساعدنى فى هذا الأمر ، وسرعان ما استطعت بمساعدة أبى أن أتولى الأمور بنفسى وأن أقيم فى أصفهان ، وأن تسير الأمور كلها على مايرام ، وشيئًا فشيئًا استقامت لى الحياة هناك ، وكان بيتى الذى اشتريته فى أصفهان يتمتع بمساحة خضراء جميلة .

وكان بالبيت قطعتان مستطيلتان من الأرض يحيط بهما فناء زاخر بأشجار الفاكهة ، وحوض صغير فى وسطه كانت به النوافير التى يتساقط منها رذاذ الماء .

وكان هناك باب زجاجى كبير على هذا الفناء ، وكان يقع بالقرب من منزلنا مسجد كبير وجميل والذى كنت أنا وشرين ننعم بنعمة اتساعه فى أغلب الليالى .

وكان مشروع السجاد الصغير فى بيتى أمرًا جيدًا لشغل زوجتى ، وهكذا كانت تمر الحياة فى أصفهان حتى أنه لم يكن يحس نقص الأطفال فى البيت ، وكان أمر تجارة السجاد ورواجها باعثًا على تعجبنى ، وفى غضون عامين أصبحت أنجح بائع للسجاد فى أصفهان ، وكنت فى ذلك الوقت أقضى فى

بعض الأوقات عـدة ساعات مع القـائم على أمر (مسـجد النبى) والذى كان رجلاً متدينًا وحـسن الخلق وكان يُدعى الحاج كريم ، وكنت أحبه كـثيراً ، بل وأفضل لقاءه عن أى شىء آخر ، وشـيئًا فـشيـئًا تعـاونت مـعه ، ووفـقنا فى أن نناقش شـئون المحـتاجـين الشـرفاء بشكل فـعلى ، وكنت أحـاول من جـانب آخر أن أبعـد شيرين عن العمل حتى نتبنى فتاة من الملجأ .

وكـان قد مـر على إقامـتنا فى مدينة أصـفهـان أربعة أعـوام ، وكنت لم أستطع أن أقنع شيرين بتـبنى طفل بلا عائل وفى الشتاء الرابع سـادت المدينة برودة شـديدة حـيث غطت السـحب الداكنة سماء المدينة ، وكـانت البرودة قارسة ، وشـيئًا فشيـئًا هدأ الجو ثم هبت ريح باردة أعقبها سقوط ثلج غزير .

وسـرت فى الفناء عندمـا سـمـعت آذان الصـبح ، وكـان مـاء الحوض متجـمدًا ، فـعزمت علـى أن أعود إلى الحـجرة ، وفـجأة توقـفت عندما سـمعت صـوت طرقات مـتواليـة على باب الفناء فقـلت لنفسى : من سيأتينى فى وقت السـحرهذا ؟ فـذهبت إلى باب الفناء ،وكـانت الأرض لزجـة تمامًـا ، وكـان يمكن أن أنزلق فوق الجليد المتجمد ، فسألت من هناك ؟ فعرفت أنه صوت الحاج كريم حيث كان يـقول : افتح الباب يامعين ، ففـتحت الباب على الفور .

ومن شدة البرودة كـان الحاج يضغط بكلتـا يديه معًا ، ورددت السلام ودعوته إلى المنزل .

قلت : خير ياحاج إن شاء اللّه أهناك مشكلة ؟ وقال الحاج كريم بينما راح يشد ياقة معطفه على رقبته : إنى فى خجل فقد أزعجتك ؟!

لقد استيقظت من النوم بالأمس فى حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل على صوت امرأة كانت تطرق باب المنزل وكانت تبكى وترجونى أن آويها ، وكانت تقول : إنى غريبةوليس لى أحد فى أصفهان ، وقد أثرت فى كثيراً واضطررت أن آخذها إلى مقر صلاة السيدات ، وظلت تبكى حتى آذان الصبح ، وكأنها قد فقدت عزيزاً لديها .

وكانت المسكينة ترتعد حتى آذان الصبح من شدة البرودة وتطلب الحماية ، ووقت الصلاة وجدت أن الحاجة رضاى التى كانت قد جاءت لإقامة الصلاة فى المسجد قد أخبرتنى أن حالة تلك المرأة سيئة جداً ، وقد أحضرتها مضطراً إليك حتى تنظر فى أمرها ، فأنا مشغول بالمسجد ، وفقير ، فلو تعمل معروفًا خذها فى بيتك ، وبمجرد سماع هذه الحادثة ، عجبت شد العجب وقلت لك الطاعة ولتخبر السيدة على الفور وأحضرها إلى البيت .

وكان الجو متقلبًا بين وضوح الرؤية والظلمة ، فنظرت إلى الطريق فرأيت شكل امرأتين ترتديان الحجاب وكان يبعُد عنهما قليلاً الحاج كريم فى الناحية الأخرى من الطريق . وكانت

إحـداهمـا تتكئ على الأخـرى وكأنهـا لاتقـوى على الوقـوف ، فناديت على شيـرين ، إذ كان يجب أن نساعد تلك المرأة الغـريبة على وجه السرعة .

ودخلت الحـاجـة رضايى (زوجـة الحـاج كـريم) الفناء بينمـا كانت تمسك بامرأة شابة تحت إبطها ، فألقت المرأة الغريبة السلام فى صوت ضـعيف ، فأتت شيـرين مسرعـة لمساعدتهمـا وأخذتا المرأة الشـابة إلى غرفـة ، وأنامتـاها فى الفـراش وكان وجـه تلك المرأة يبـدو مكدوداً ومـتـعبًـا على الرغم من أنـها كـانت شـابة ، وجعلت الحاج كريم يذهـــب إلى المسـجد بينما كنت أنا نفســى قد ذهبت إلى الطبيب محمدى على الفور إذ كان من الجيران .

وقد طرقت باب منزل الدكتور محمدى عدة طرقات ، ولم تمر لحظات حـتى فـتح الطبيب شبـه النائم باب المنزل ، ووضـحت سبب مجيئى للدكتور بإيجاز ، فدعانى للدخول فآثرت أن أنتظره أمـام باب الفناء ، وكنت أرتعد مـن شدة البـرودة على الرغم من أننى قد ارتديت ملابس ثقيلة من رأسى حتى أخمص قدمى .

ومن حـسنٍ حظنا أن الـطبـيب كـان من الجـيـران ، فـفى هذا الوقت من السَحر من الصعب العـثور على طبيب ، خاصة وأننى أعـرفه منذ عـدة سنوات ، وتقـريبًـا يمكن أن أقـول إنه كان يعـد طبيب المحلة ، وكانت السيدات على وجـه الخصوص يعتقدن أنه حسن الفأل ، وربما خلقـه الطيب وطبيعـته الحسنة قد جـسدا هذا

التصـور، وسرعان مـا ارتدى الطبيب الشـال والقبعـة وخرج من باب الفناء حاملاً فى يده حقيبة سوداء اللون .

وكنت قد شـرحت للطبيب واقعـة المرأة الغريبة الطريفة فـهز رأسه متأسـفًا وقال : أكثر من امرأة قد تجـمدت فى هذ الفصل ؟ لدرجة أن التفكير فى هذ الشأن يجعل بدن الإنسان يقشعر ، ومن حـسن حظ هذه المرأة أن قابـلها الحـاج كريـم فهـذا الرجل المسن المؤمن لايضن بمساعدة قط على المحتاجين جزاه اللّه خيراً .

وقد شغلت الطبيب بالحـديث طوال الطريق ، وكنا نعتقد بأنه لو لـم تلجأ هذه المرأة لنا فى منتصف الليل لكانت قد تجمدت من البرد ، وفى النهاية وصلنا إلى المنزل ودخلنا غـرفة المريضة قائلين يااللّه ، فطلب الطبيب أن نخـرج من الغرفة جمـيعًا الغرفـة تمامًا وودعتنا (الحـاجة رضايى). وتوجهت إلى منزلهـا ، وكانت هذه المـرأة سـيدة محـسنة ، وكانت تقـضى أغلب أوقاتهـا فى وجوه الخير ، وكـانت تقضى أغلب أوقاتها مع نسـاء المحلة للمشورة ، وكانت تقوم بنفسها بالمساعدة ، وكانت هذه السيدة تنظر فى حال الأسر الفـقيرة التى ليس لها عـائل ، وتساعد الفـتيات الفقـيرات سيئات الحظ وتعود المرضى ، فكانت هذه الخـدمات القيمة عمل هذه السـيدة المحـسنة ، فـتوجـهت مـباشـرة إلى المطبخ فـرأيت شيرين مشغولة بـإعداد الفطار ، فقلت لها : قواك اللّه ، وتناولت لقمة خبز ووضعتها بفمى ، فنظرت إلىّ وقالت :

إنى قلقة للغاية يامعين من أجل هذه المرأة ، إن حرارتها عالية ، ويفُضل أن نرعاها عدة أيام حتى يتبين أمرها .

ووافقت على رأيها وهززت رأسى مؤيدًا قولها ، وبلعت لقمة العيش التى كنت مشغولاً بأكلها وقلت : أحسنت .. إنك إمرأة رحيمة وأنا سأفتخر دومًا بأخلاقك الطيبة .

وكان يُسمع صوت المرأة الذى كان أقرب إلى الأنين- من الغرفة التى كانت مجاورة للمطبخ فدعوت لها وقلت : ياإلهى خذ بيديها .

ولم تمر ربع ساعة حى نادانى الطبيب ، فطرقت الباب ودخلت الغرفة ، فشعرت المرأة بالخجل عند رؤيتى ، وقد جلست على الفراش نصف ساعة ناهضة ، فأعطانى الدكتور الروشتة وقال : إنها مصابة بالبرد ، وينبغى أن تستريح ثلاثة أو أربعة أيام ، فلو كان بإمكانك أن تعطيها الأدوية من الآن ، فسوف تؤثر على تحسنها إلى حد كبير ، قلت لاتقلق أصلاً يادكتور فسوف أرعاها أنا وزوجتى وبمجرد أن أوصلك سوف أعطيها الدواء .

وبمجرد أن وضع الدكتور حاجياته فى حقيبة اليد ، قال : أين الطريق فأنا ذاهب بنفسى ، فأعطيت الطبيب أجره ، ولكنه امتنع عن أخذه ، وقال خارج الغرفة : إن زكاة عملى فى هذه المواقف

ألسنا مسلمين ؟ فوضعت النقود فى جيبى خجلاً من نية الطبيب الخالصة ، وودعته حتى خرج .

ورأيت عند خروجى من المنزل أن شيرين قد ذهبت إلى غرفة المرأة حاملة طاولة الفطار ، وبمجرد أن رأيتها تتحدث غمرتنى السعادة ، إذ إنها منذ فترة طويلة لم يكن لها عمل سوى الإشراف على السجاد ، وكان من الضرورى لها أن تكون بصحبة امرأة ، والآن فقد حقق الله لها هذا الأمر ، وأما عن شكل تلك المرأة فقد كانت من الناحية الظاهرية تشبه إلى حد كبير شيرين ، وربما لو كانت تجلس فى وضع أفضل بجوار شيرين لبدا أنهما شقيقتان ، والمسألة التى كانت تقلقنى أكثر من أى شىء آخر هى لماذا لجأت تلك المرأة الشابة الجميلة إلى المسجد فى منتصف إحدى الليالى الباردة وحيدة لاتحمل إلا حقيبة يد ، وكان من المسلم به أنها لم تكن من أهل أصفهان ، وربما أنها كانت من أهل شيراز أو ضواحيها ، وكان ينبغى أن نصبر حى تشفى فربما تبوح بسر هذا الأمر .

وكانت لهجة المرأة تدل على أنها من أهل فارس ، وكان هذا واضحًا للغاية ، وكانت عناية شيرين الشديدة بها قد أثمرت ثمارها ، وبعد ثلاثة أيام بلياليها ، كانت تضحك شيرين راضية وقالت : الحمد للّه إن حالتها أفضل وقد انتظمت حرارتها تمامًا ، وأظن أنها بعد يوم أو يومين سوف تتحسن حالتها تمامًا .

وسألت : ألم تعرفى مااسمها ؟

وفكرت شيرين قليلاً وقالت : لماذا سألتها اليوم صدفة هذا السؤال فردت وكانت تبكى : اسمى بهار .

وقلت متردداً : بهار اسم جميل ، ومازحت شيرين حبيبتى إن مجىء بهار فى فصل الشتاء ينبغى أن يكون فألاً حسنًا .

وأدامت شيرين النظر وقالت : إن فى سلوك هذه المرأة نجابة ووقارًا خاصين ، ويجب أن تكون من أسرة محترمة إذ إن طريقة حديثها تختلف عن النسوة اللائى هن من أصول شعبية وواضح أنها امرأة متعلمة ، وكنت قلقًا للغاية عندما سمعت هذا الموضوع .

وقلت لنفسى : حتمًا أنها ارتكبت مصيبة جعلتها شريدة المدن، وعندما سمعت الموضوعات التى قالتها شيرين ، اشتقت أكثر من ذى قبل حتى أعرف سر (بهار) ، وكان لابد من مساعدتها حتى نعرف تفاصيل مشكلتها .

قلت : ألم تسألى هل لها أحد فى هذه المدينة أم لا ؟ فقالت شيرين مؤكدة ، لا .. لا لاأظن أن لها أحدًا فى أصفهان ، فلو كان لها أحد لكانت أخبرته بوجودها قلت : وينبغى على كلينا أن نساعدها بقدر مانستطيع وأغرورقت عينا شيرين الجميلتان بالدمع وقالت : لاأعرف عندما أنظر إلى وجه بهار أشعر

بوحدتى وغربتى ، وأحس تجاهها إحساسًا عجيبًا وكأنها أختى ، وكأننى قد عشت معها سنوات طولاً .

ونظرت طويلاً نحو وجه شيرين فمرر هذا حلقى ، فجففت الدمع الذى كان يتساقط ، فقالت شيرين فى صوت محبب : لو وافقتنى على أن نرعى هذه المرأة عندنا ، فأثار هذا عجبى ، وكأنها أصبحت مسلوبة الإرادة أمام تصرفاتها ، فكانت تتحدث بثبات دون تردد .

وأجبت عليها : إن وجود بهار فى بيتنا مثل وجود مهرى ، واعتبرتها إحدى شقيقاتى وقد جاءت إليك ، ومن ناحيتى فلست قلقًا من الوحدة مثلك ، وإننى أتولى أمورى ببال مستريح .

وفى صباح اليوم الرابع لإقامة بهار فى بيتنا ، نادت شيرين علىّ فى قلق وقالت : يامعين أسرع ، تعال ، فذهبت مسرعًا فرأيت متعجبًا أن بهار ترتدى ملابسها وتريد الرحيل .

وسألت شيرين غير مصدق ، ألم تفهمى منها إلى أين تريد أن تذهب ، فأجابت مغتمة ، تقول إنى ذاهبة إلى حال سبيلى، فارتديت ملابسى على الفور ، وأتيت إلى البهو فوجدت أن بهار تريد الرحيل بينما مازال لونها ووجهها شاحبًا فوقفت فى مواجهتى أنا وشيرين وقالت فى صوت حزين: عفواً لقد أزعجتكما ، ولهذا الأمر فإننى فى قمة الخجل منكما ، وكنت

أريد ضمن شكركما على إتعابكما أن أعفيكم من هذه المتاعب ، وكانت نبرات صوت بهار حزينة إلى الحد أننى قد بكيت دون أن أدرى ، عفواً ياأختى أيوجد لك أحد فى أصفهان؟

فنظرت إلى حقيبة يدها وقالت : لاأنا وحيدة وليس لى أحد فى كل أنحاء الدنيا ، والوحيد ملجؤه إلى اللّه وملاذه ، وفجأة تقدمت شيرين التى كانت تقف ساكتة وهادئة والدموع تتساقط من عينيها وقالت : بهار هانم أنا أيضًا غريبة ووحيدة فلو ترغبين فإنى أرعاك كأخت لنا .

فألقت بهار نظرة مفعمة بالشكر على شيرين وقالت : أنتم طيبون ، ولكننى أمام كل هذه العظمة حقيرة ولا أمثل شيئًا ، وعندما لاأستطيع أن أرد جميل محبتكم كيف يمكن أن أكون متطفلة عليكم ؟

فقاطعت حديثها وقلت : لاينبغى أن تنسى أننا جميعًا أخوة وأخوات فى الدين .

وبالنسبة لزوجتى فهى غريبة أيضًا وأنا أغلب أوقاتى خارج المنزل ، ويمكن أن تكونا مؤنستين جيدتين لبعضكما ، وسأسعى أن أجد لكما عملاً ، حتى تقفى على قدمك ويضايقنا أن يكون البيت بهذا الاتساع ، وأظن أنه يكفى ثلاثة أشخاص ، فتأوهت بهار ، ومسحت طرف حجابها الناعم ذى الألوان وقالت :

أتشـقـون فيَّ بدون مـعـرفـة سـابقـة ، لكي أعـيش مـعكم ؟ إني أشكركم ، ولكن قبل أن ألـبى دعوتكم في البقـاء معكم لابد أن أحكى قصة حياتي بالتفـصيل لأخي وأختي الودودين حتى أكون بمثابة الخـــادم عندكم .

ولكن قبل أن تستـمعوا إلى أحداث قصـتي ينبغي أن تعدوني أن لا تبوحوا بسـرى ، وكانت بهار تتحـدث بصدق إلى حد إنني وشيـرين قد استسلمنا تمامًـا تأثرًا بحديثهـا ، وبدون أن نعلـم ماذا تريد أ ن تقـول لنا ، فـقد وعـدناها ألا نبـوح بسرها ، وتقـدمت شيرين وأخـذت منها حقيـبتها ، وسـاعدتها حتى تعـود ثانية إلى غرفتها .

ولم تكن لبـهـار القـدرة ، إذ إن أثر الحـزن العـمـيق المقـتـرن بالضعف بعـد مرضها قـد سلبها القدرة على التـحدث ، وطلبت منها أن ترجئ الحديث عن حياتهـا إلى يوم آخر ، إذ إن حالتها لـم تكن مناسبة للحديث .

وعندما نهضت لتذهب إلى غرفتها قالت متمتمة : أنتم أعدتـم لى الأمل المفقود ، إذ إننى فقدت الثـقة في جميع الناس لأسباب خاصة ، ولكن .. حسـن فقد صدقت ثانية أن الجميـع ليسوا بهذا السـوء . وأن الأفــراد يخـتلفــون عن بعـضـهم الـبـعض ، وإذا ماتفحصنا الناس داخل هذه الدنيـا وجدنا أن البعض مثل الذئاب وهم يسـتـمتـعـون بعـذاب الآخرين ، فـى مقـابل أناس آخـرين

يعتبرون أن المساعدة للجميع وظيفة لهم ومسئولية تقع على عاتقهم ، وكان كلام بهار الزاخر بالمعنى قد أدهشنا ، ولم يكن لكلامها جواب عليه سوى السكوت .

فقلت لنفسي : إن صدر هذه المرأة مليء بالآلام والمعاناة وهى محتاجة للحظات حتى تستعيد توازنها ، وينبغى علينا أن نوفر لها هذه الفرصة حتى تتخلص من عقدها . ولو اضطررت أن تتحمل وحدها الحمل الثقيل لأحزانها ، فمن المسلم به أنها لن تستطيع أن تستمر طويلاً ، ولكانت قد لقيت مصيراً مجهولاً .

وكان قد مر على إقامة بهار فى منزلنا خمسة أيام ، وكانت ساعة الحائط تشير إلى الثانية بعد الظهر ، وقد خيم السكون والملل على الغرفة ، حتى أن السحابة السوداء التى غطت كل السماء قد لقى بيتنا منها نصيب .

وكانت بهار ذات الوقار الخاص قد غطت نفسها برداء أسمر ، وقد أوصلت طرف ردائها حتى جبينها ، فبدت ذات حال عجيب .

وكانت قد أحاطت هالة من الحزن واليأس بوجهها البرئ وأخذت تنظر بإمعان إلى نقطة معينة من الغرفة وكأن شخصًا كان يخاطبها من تلك الزاوية ، وعندما رأت بهار أننى وشيرين فى شوق لأحاديثها بدأت شيئًا فشيئًا فى الحديث ، بينما كانت تحاول ألا تخلط بين دمعها وكلامها .

وهكذا بدأت أحداث قصة حياتها وقالت : بناء على قول أمى فى منتصف ليلة سوداء على ضوء نور خافت يضىء على استحياء فى بيت صغير وحقير .

وكان والدى مواطنًا فقيراً من توابع فارس ، أى المواطن الذى ليس له فى الدنيا سوى الترقيع باليد والبيت الصغير الحقير ، وفى صبح ميلادى أسمانى والدى بهار وكان قد قال لأمى فى سعادة :

انظرى إلى لون عينى ابنتى إنها مثل الربيع ، ولم تكن سعادة أبى لمولدى بلاسبب ، إذ إننى قد جئت بعد أن توفى له ولدان ، على الرغم من أنه زاد عدد الفقراء آكل خبز جديد (٤) .

ولا أتذكر السنوات الأولى من حياتى ، ولكن عندما بلغت السادسة من عمرى فقد اضطر والدى لشدة الحاجة أن ينقلنا إلى شيراز آملا أن يوفر لنا لقمة العيش ، كما أن ذكريات الأيام القاسية تظل دائمًا محفورة فى ذهن الطفل ، وظللنا عدة أيام حائرين مضطربين فى المدينة ، وكان الأب قد طرق كل باب من أجل العثور على عمل .

وفى النهاية وفق فى أن يتولى حراسة مخزن للجص خارج المدينة ، وقد اضطر من أجل إقامتى أنا ووالدتى أن يقيم خيمة بالقرب من المخزن ، كما أن الحياة فى الصحراء بعيداً عن

الأقارب والناس قد جعلتنا ضائقين بالجميع تحت ظل الخيمة غير الآمنة التى نسكن بها .

وكانت أصوات الكلاب الضالة قد حرمتنا من النوم المريح ، وعندما كانت العربات تأتى لنقل الجص من المخزن ، كان من الصعب أن نتنفس ، وأحيانًا كنت أقع متقطعة الأنفاس بسبب شدة تلوث الهواء ، وأحيانًا كان هذ الأمر يستغرق ساعات ، ولكن بمجرد أن تحمل السيارات وتذهب يعود كل شىء إلى طبيعته ، وكانت أمى سيدة صبوراً ولم تشك قط فى كل هذه المساوئ .

ومع تحمل أبى كل هذه المصاعب فقد كان أبى يبحث فى الوقت نفسه عن عمل آخر ، حتى أنه ذات يوم دخل علينا الخيمة سعيداً وقال : لدى خبر طيب لكما ، فسألت الأم متعجبة ، ماذا حدث يامراد ؟ فضغط الأب يديه معًا وقال : لو أن اللّه يريد فقد انتهت تمامًا معاناتنا ... وقد عثرت على عمل آخر .

فطارت الأم سعادة من الحديث وسألت :

لا تحلم يامراد .. ماهو الموضوع ؟

ورفع الأب رأسه وكأنه قد عاد من الحرب منتصراً وقال: اليوم ذهبت فى الصباح من أجل قضاء أمر فى المدينة نادى علّى أحد الأشخاص داخل أحد الشوارع المزدحمة بالمارة ، وكلما نظرت إليه لم أعرفه ، وبالتأكيد أنه نادى على مراد آخر غيرى ، وكنت

قد وقفت حائراً ، فأعـاد مناداتي ثانية ، ألست مراداً .. ألا تعرفنى الآن ؟ فـدققت أكـثـر فرأيت أن الرجل الذى ينـادينى هو كمـال الذى كان من بـلدتى ، ولـم أتعرف عليـه كأحد مـواطنى المدينة ، فـخجلت مـن نفسي ،ولما أن ذاكـرته كـانت أفـضل منى ، طلبت العـذر منه ، وقبّـل كل منا الآخر ، مـاشـاء الله أصبـحت كـثيـر السرحان ، ولكن كان يقول أننى أصبحت شـيخًا ، وحقًا مايقول .. فلم أر يومًـا حسنًا قط ، تحـدثنا مـعًا بعض الوقت ، ثم سـألنى عن حيـاتى ؟ قلت : أية حياة ؟ إن الحـياة فى صحـراء الله لاتعد للإنسان حـياة ؟ وعندما سـمع كمال بهـذه الأحاديث فقـد حزن وسأل : هل مراد بستانى ؟ قلت لك الطاعة ، ونحن أبناء الأرض والشجر ، فـضحك وقال إذن لاتحزن وسأدلك على عـمل جيد ، وقـد أوصانى سـيدى أن آتيـه ببـستـانى ماهر ، والآن من أفـضل منك؟ وسـوف تدهش من المكان الذى سـوف تقـيم فيـه ، إذ إن الحجرة. التى كـانت للبستانى السابق سـوف تكون ملكك وبينما لـم ينتـه كـمـال من كـلامـه حـتى انحنيت وقـبـلت يديه وقلت : ياكمال أكمل جميلك وخذنى إلى خدمة سيدك .

ولم يتوان كمال ، وأخذنى من المكان نفـسه إلى سيده ، وكان سيـده رجلاً قوى البنيـة والهيئـة ، وكان دائمًـا يفتل شاربيـه وقد شدنى إليه إلى حد أننى تخوفـته ، ولـم ينظر إلىّ مرة واحدة قط ، ولكن عندما عرفـه بى بلدياتى كمال وكفلنى عنده ، وأمـر السيد بأن أتولى العمل من صباح غـد وبعد إلقاء السلام وشكر بلدياتى

كمال ، أتيت بسرعة لأخبركم حتى تجمعوا حاجياتنا ، وأتمنى أن تسنح الفرصة حتى تتعلم بهار ، وتصبح سيدة مدينة بمعنى الكلمة ، واستغربت الأم الحديث وقالت : ومادخل السيدة القروية بذلك ؟ وضحك الأب كان يتابع حاجب الأم ، وقال ابسطي حاجبيك أكثر ، فالآن لا وقت للمعاناة والتعب . أترين إن الله قد أبدلنا بالصحراء هذا المكان حتى نتذوق طعم السعادة .

وقد كان ذلك اليوم من أفضل أيام حياتنا ، ومن شدة سعادتي أخذت أجرى داخل الخيمة ، وكنت أضحك دون سبب ، ولم تكن نظرة أمى مثل الماضى ذات حيرة وبرود ، بل كانت هذه المرة تحمل الأمل والتفاؤل .

وجمعنا أمتعتنا التى لم تتجاوز عدة أكياس ، حتى أن أبى من شدة السعادة لم ينم الليلة ، وكان دائمًا يتقلب فى فراشه ، أما الأم المتعبة فقد نامت هانئة بسبب كثرة العمل اليومى وربما أنها كانت تحلم بماء الغرفة والمكنسة .

وعلى كل أتى صباح الغد بسرعة ، وانتزع الأب كل مايستطيع من قدرة الأعمدة الحديدية للخيمة من الأرض ، وبجمعها انتهت آخر دقائق لحياتنا فى تلك الصحراء .

وكان نور الشمس الجميلة يسطع وسط الأغصان المتسلقة وأوراق الأشجار فوق الأرض وذلك عندما وصلنا إلى الباب الحديدى الضخم لحديقة السيد المالك ، وكان قد بسط الطريق

الممتد بالسجاد القيم حتى مدخل عمارة المالك ، وكانت أشجار السرو الجميلة تزين جانبى المدخل العظيم ، وكانت العصافير تطير أسرابًا من شجرة إلى أخرى .

وكانت الأشجار المتداخلة باعثًة على أننى كنت أشم أريج ورودها من خارج الحديقة ، وكنت قد استرقت نظرة من خلال أعمدة الأشجار المتسلقة ، وقلت لنفسى : هل من الممكن أن يفتح هذا الباب العظيم أمامنا ؟ وأن ندخل هذه الحديقة العظمى ؟ وربما كان أبى وأمى يفكران فيما كنت أفكر فيه ، ومهما يكن من أن أولئك مثلى مندهشين لكل ذلك الجمال ، فقد كانت بالفعل عمارة المالك تقع وسط الحديقة ، وكان المظهر الخارجى لتلك الحديقة يشد انتباه كل عابر حولها ، وكانت أسوار أطراف الحديقة حتى المنتصف مشيدة من الحجر ، ووضع فوقها أعمدة حديدية قوية ، وأخذت أنظر إلى المنطقة نظرة متفحصة بصحبة أبى وأمى ، وكنت فى كل وقت أخشى رؤية السيارات التى كانت تمر بالشارع أمام الحديقة ، وأتخفى وراء رأس أمى ، وكنت لاأتخطى الشارع طالما أنها لم تراقبنى ، وكنا جميعًا مبهورين بالمشاهدة حتى شد انتباهنا (كمال) بصوت المفتاح فى القفل الكبير لباب الحديقة ، وتبسم بمجرد أن رأى الأب وألقى التحية وسألنا عن أحوالنا ، ثم مرور يده فوق رأسى ، وقال للأم مرحبًا بك ، بل واستقبلنا استقبالاً حارًا كأنه الأب لنا مما أدهشنا ، وكنت أنظر إلى ملابسه فكان يبدو من قميصه وسرواله الكحلى وقبعته المنقبة ولون ملابسه أنه شخصية عظيمة فى نظرى .

وكان الفرق بينه وبين أبى كالفرق بين الأرض والسماء ، بينما كان الأب يبدو من قبعة اللباد الأصفر والسروال الأسمر الفاتح والقميص والصدرة أنه رجل قروى ، وقد جاء إلى المدينة ، وبعد السؤال عن أحوالنا دخلنا جميعًا الحديقة وسرنا من طريق آخر للحديقة والذى كان منفصلا إلى حد كبير عن باب الدخول ، وكنت أستمتع عندما أطأ بقدمى فوق أوراق الأشجار الذابلة ، وكان اتساع الحديقة واخضرارها الزائد باعثا على أننى كنت أحس إحساسًا عجيبًا أو قل إحساسًا لطيفًا والذى يذكرنى بفترة الطفولة ، وقطعنا مسافة من تحت أشجار السرو الضخمة وشجر الكاج والصفصاف المجنون[٥] ، وكان يبدو من بعد شكل غرفة ، فتركت يد أمى وأخذت أعدو نحوها ، ولما أن أبى قد ذكر قبل ذلك أنهم سوف يمنحوننا غرفة فى الحديقة ، فإن وجه أبى وبريق عينى أمى فى تلك اللحظات أمر لايمكن وصفه ، حتى أنهما لم يريا ذلك فى الحلم ، وأن يستمتعا بكل هذه المزايا ، وقد أصبحت الحياة فى ظل الخيمة باعثًا لكى نرضى بامتلاك تلك الغرفة .

وكنا نحن جميعًا وكأننا بلغنا ذروة السعادة ، وكنت أجرى حافية فى كل مكان غير مبالية بالأشواك التى كانت تؤذى قدمى كفراشة ، وقد انطلقت فى بستان ملىء بالورود ، وسار والدى حول الغرفة وذكر كمال قائلاً : رحم الله عليًا ، البستانى السابق ،

إذ إنه كان يعيش مع أطفاله داخل هذه الغرفة ، وحوض الورود هذا من صنع يديه ، وعندما حلت رحمة الله ، عادت أسرته إلى قريتهم ، وتأوه كمال وأخرج يده من جيبه وأعطى مفتاح الغرفة لأبى ، وقال : إذا شاء الله تتحسن الأمور وتستقر فى العمل بشكل دائم ، وألقى الأب نظرة على مفتاح الحجرة وقال : أشكرك يارب ، فقد أنقذت امرأتى وطفلتى من التشرد ، ولن أنسى ياكمال مادمت على قيد الحياة جميلك هذا الذى فعلته من أجلى ، ولقد لفت انتباهنا إلى المصباح الذى كان معلقا بالغرفة بسلك أسود اللون ، صوت الأم التى كانت تقول فى سعادة غامرة إن غرفتنا تضئ بالكهرباء ؟

ونظر إلى الأب وقال : حبيبتى بهار ، الآن تستطيعين أن تتعلمى بسهولة ، فدهش كمال وأخذ ينظر إلينا فى سعادة وقال للأب : ابدأ يا مراد عملك من اليوم ، وآمل أن تبيض وجهنا لدى المالك ، فضحك الأب بصوت عال وقال : استرح بالاً ياكمال وسوف أرتب هذا المكان كباقة ورد ، فنظر كمال إلى وإلى أمى وقال : لو احتجتم شيئا أخبرونى ، فأجابت أمى أكثر الله من أمثالك .

وأخذنا أبى مبتهجًا داخل الغرفة ، وبعد ذلك توجه إلى الفأس التى كانت بجوار الغرفة ، وسرعان ما استغرق أبى فى نظافة

الحديـقة ، كمـا شغلت أنا وأمـى بشئون المـنزل ، وقد أسعـد أمى وجود صنبور المياه بالـقرب من الحجرة ، فغسلت رأسهـا ووجهها ببعض الماء ، ولم تنقطع أصوات النحل والصـراصير والحشرات ، وكأنهـا اضطرت لأن تتوحد فى أصواتهـا ، وفى تلك الأثناء كان شدو البـلابل ، والطيور ذات الأصـوات الجمـيلة قد مـلأت فراغ الحديقة بشكل خاص .

وسـرعـان مـاتعـودنا جـمـيعًـا على المكان الجـديد لحـيـاتنا ، وأصـبحت تلك الأصـوات شيـئًـا عاديًا ، ولكن الشئ الذى شـد انتباهى أكثر من ذى قبل هو وجود شجرة الصفصاف المجنونة التى كانت بالـقرب من الغرفـة ، وقد أحـببت تلك الشـجرة أكـثر من الأشجار الأخـرى ، وكنت قد وضعت قفص طيور الزينة تحـتها ، وعندما أحـضرها أبى من أجلى كـانت صغيـرة ، ولكن مع مرور الوقت ظهر ريش أجنحتها الخضراء الجمـيلة فوق أجسامها ، كما ظهر أيضًا تحت صدرها قدر من الألوان الصفراء الداكنة ، وكانت مناقـيرها الصـغـيرة جـمـيلة للغايـة ، وكانت فى أغلب الأوقـات تداعب هذه العصافير بعضها البعض من خلال مناقيرها .

وكنت أنظر إليها دائمًا لكى أبتعد عن الوحدة .

ولـم تكن لدى الجرأة الكافيـة لمدة طويلة للعب داخل الحديقة ، ولكن شـيئًا فـشيـئًا زالت هذه الرهبـة ، وكنت أخفى نـفسى وراء

الأشجار الضخمة ، وكنت أحافظ على الطريق ذى البساط القيم الذى كان يصل حتى عمارة المالك .

وكنت أنشغل لمدة ساعات بمشاهدة السيارات التى كانت تتردد على بيت المالك ، وكانت نظرتى المتفحصة تلفت انتباه ضيوف المالك .

وكانت النساء الجميلات ذوات الملابس الضيقة التى لا تشبه ملابس والدتى غير المكوية، كن ينزلن من المقاعد الخلفية للسيارة ، وكانت أحذيتهن ذات شكل عجيب ، وكأنهن وضعن مسمارا طويلاً داخل كعوبهن ، ولكن لم أكن أغير منهن أبدًا ، ولعل نداء كان يتردد فى أذنى يقول لى : إنك يابهار أجمل منهن جميعا ، ولساعات طويلة كنت أرقب حركة ضيوف السيد من وراء الأشجار ، بينما كانت أمى تهتم بالحديقة الصغيرة التى كانت قد أعدتها حول الحجرة ، وشيئًا فشيئًا كانت مساحات الخضرة التى زرعتها أمى قد نمت ، وكان أبى يعمل دون توقف فى حديقة (سالارخان) .

وذات ليلة دعا أبى كمالاً على العشاء تقديرًا له على مافعله من أجلنا ، وعلى الرغم من أن إمكانات أمى كانت قليلة ، إلا أنها قد أعدت طعام حساء الكشك ، وشيئًا فشيئًا كان الجو قد أظلم ،

وبمجرد أن أظلم تمامًا وصلت أصوات الصراصير والحشرات إلى ذروتها ، وعندما طرق الباب عدة طرقات ، شغلنا بأمر الضيوف .

ودخل كمال الحجرة يسعل قائلا يا الله ، وتقدم أبى عدة خطوات لاستقباله باحترام ، وجلس كمال فى صدر الغرفة ، كما وضع أبى مسندًا مريحًا خلف ظهره .

وكانت أمى قد صبت شايًا خفيفًا فى فنجان مكسورة شفته ، ووضعته فى صينية قديمة أمامه ، وجلسنا جميعًا فى شوق حول كمال ، وكان يسألنا جميعًا عن أحوالنا ، ونظر كمال إلى أبى وقال : أعانك الله يامراد فقد بيضت وجهى إذ إن المالك راض عن عملك كثيرًا .. وقد أعطانى لك مبلغًا من المال كمكافأة ، وتناول أبى فى سعادة أول أجر له وقال ، لاأصاب يدك مكروه ، إن كل مالدينا من كرمك .

فأجاب كمال ضاحكًا : لك ماتريد ، ولكن هذا حقك ، وقد عانيت ، فقال أبى : أكثر الله من أمثالك ، وإن كنت اليوم عاملاً مشهورًا لدى سالارخان فذلك بسبب تعهدك بى وإلا فقاطع كمال حديث والدى وقال : حقًا ما تقول يامراد ، وسارخان كبير أهل فارس ويعرفه الجميع ، وأملاكه متعددة وأغلب أوقاته مشغول بإدارتها .

كما أن جوهر تاج امرأة المالك تنتـمى لطائفة كبيرة ، وهى ابنة أحد الخوانين المعروفين ، ولها سيارة خاصة بسائق خاص .

وكـان قد ذهب طفـلان من أطفـال المالك إلى الغرب ، وذهبـا إلى المكان نفسه الذى يرتادانه ، ولـديه فقط ابن فى التـاسعـة من عمـره ، وهو طفل طيب للغاية ، وكان كـثيراً ماينـاصـر الخدم وهو أساسًـا ليس متكبراً ، وكان كـمال مشـغولا بكل كيانه بالتـعريف بأسرة المالك وأسرته ، وكنا نستمع إلى أحاديثه فى شوق .

ثم أضـاف : وتعيـش شقـيقـة المالك الوحـيـدة داخل حجـرة منفصلة خلف العـمارة ، وعقلها ليس سليمًـا فكانت إما تبكى أو تضـحك ، وقد وضـعهـا المالك خلف عـمارتـه لكى يحفـظ مـاء وجهـه، فإذا سمعتم فى منتصف الليل عويلاً أو بكاءً، فلا تخافوا ، فـهى ليست مـؤذية ، وقـد خفت عنـد سـمـاع قصـة تلك المرأة ، فـالتصـقت بأمى ، فنـظرت أمى إلى بينمـا كنت مـذعورة ، وقـال لكمال : لماذا لايحضرون الدكتور لهذه المرأة المسكينة .

فأجاب كمال : لقد فات الأوان على هذه الأحاديث ، والنساء اللائى يعملن داخـل العمارة يقلن : إنهم أطعـموها شيـئًا ، والآن من هذا الذى أطعـمـهـا ؟ .. الله يعلم ، وقـد غـير أبى مـوضـوع الحـديث عندمـا لاحظ تخـوفى وقال : أتـظن أنه يوجد خـبـراء ،

فالـيوم ينظمـون المقاعـد فى البهـو ، فضحـك كمال وقـال : نعم ياوالدى فمثل هؤلاء الخبراء كثيرون هنا ، فى فصل الصيف يكون دائمًـا لدى المالك ضـيوف ، وسـوف يأتى مـسـاء غد ، عـدد من الضيوف من طهـران ، وتقام ولائم الضيافة أمـام فناء العمارة لمدة ليال ، فتملأ رائحة المشويات من اللحوم والدجاج أرجاء الحديقة ، وقـد أثرت أحـاديث كمـال على مـعـدتى وأشـرت إلى الأم أننى جائعـة جدًا ، وقد وضعـت أمى بسرعة سفـرة الطعام أمام كـمال بالحـرارة نفسهـا التى يتـحدث بهـا ، وقد وضعت عـليها بـصلاً ، وأربع قطع بطيخ وبعض الخبز والزبادى ، وصـبت حساء الكشك فى إناء نحاس ووضعـته وسط السفرة ، ووضعت بجـوار السفرة إناء ورديا به مـاء بارد ، وبدت آثار الخـجل من ذلك الاسـتـقبـال الفـقيـر تظهـر على وجه أبى ، وضـغط كلتـا يديه وقال : تفـضل ياكمال .. فأنا خجل منك أن أستقبلك بالحساء ، وإن شاء الله لن أخجل فى المرة القادمة(٦)، وقال كمال الذى كان قد فهم قصد أبى : ماهذا الحديث يامراد ؟ وكأننا لسنا من قرية واحدة ، أنت تعلم أن المرء يشـتـاق إلى حـسـاء الكشك فى هذه المدينة . وكـمـال الذى كانت تربطه بـالأب صداقة حـميمـة ، اهتز فى مكانه بقـوة وأقبل على السفـرة ، فأبدى الأب ارتياحًا ، ومـلأ طبقه بالحسـاء وشغلنا جميعًا بتناول العشاء. وبعد ذلك عندما كنت أفكر فى تلك الليلة ،

كنت أقـــول لنفـسى : إن الـبطن الجـائع لايـفـرق بين الحـســاء والدجاج ، وعندما تتلوى المعدة من الجـوع ، فإن الحساء يكون فى مقام لحم الرومى ، ويعرف هذا جيدًا جميع الفقراء .

وعلى أية حال فـإن ضيافة ذلك المساء قد انتهت بوداع كـمال لنا حيث كـان يعيش فى غـرفة خاصـة كحارس . بينمـا شغل أبى وهو فى سعادة بعـدِّ نقود أول أجر له يتقاضـاه وراح يعدنا قائلاً : صباح الغـد سأشترى لكم كل ماتريدونه ، فاعـترضت الأم قائلة : أعـد بعض المال ربما نحـتـاجـه . وفى صـبـاح اليـوم التـالى كنت مشـغولة بـاللعب ، وإذ بأبى وقد دخل الحـديقة يحـمل تحت إبطه أكياسًا ، وعندما رأيته جريت نحوه وألقيت السلام ، فنظر أبى إلى حـماسى وقـال : كـيف حالك يابهـارى ! سـاعدى والدك حـتى ندخل هذه الأشـياء فى الغـرفة ، وحملت بـقدر ما اسـتطعت من أخف الأكياس ، وسرت أمامه ، وكانت الأم وفقًا للمعتاد مشغولة بالذهاب إلى مساحات الحديقة الصغيرة ، وبمجرد أن رأتنا نهضت من مكانها وأخذت عنى الأكياس وقالت فى صوت حنون :

أعـانك الله يـا مـراد ، وكنت أبتـسم من صــوت نبـرات أمى وأسلوبها المداعب الذى لايفارق نظراتها .

ومن شدة سعــادتى كنت قد سكبت الأكيـاس وسط الحجرة ، بينما كـانت الأم مشغـولة بفتحـها على عـجل ، بينما وقف الأب

يستـمتع بأفعالى المتـسرعة وكذلك تعـجل أمى ، إذ إنه لم يكن قد رآنا منذ فترة طويلة على هذا الـنحو ، ونظرت إلى أمى التى كانت مـشغـولة بترتيب قطع المـزهريات ، إذ كانت دائمًـا تطلب أدوات الزينة المعدنية هذه .

وكنت سأطيـر فرحًا عندما رأيت الحذاء القـرمزى اللون الذى كــان قد اشتــراه أبى لدى ، وعلى الفور ارتـديته ، وخـرجت من الحجـرة ، ومهما يـكن من أننى لم أتعود على السيـر بحذاء ، لأن أغلب الأوقـات كنت أسير حـافيـة القدمـين ولكن من الاشتـياق للأحذية بدأت أعدو حول المنزل .

وشيئًا فشيئًا بلغت شجرة الصفصاف المجنونة التى كان قد علق بأحـد أغصانهـا قفص طيـور الزينة ، وكـأننى أردت أن أشاركـها سعـادتى ، ولكن فجـأة رأيت كلبًا أبـيض كثيف الـصوف والذى شــغل بحفـر حفـرة تحت الشـجرة ، وعندمـا رأيت ذلك الكلب ، اضطربت وسـعدت بأنـنى نسيت حـذائى ، وذهبت نحـو الكلب دون أن أحدث صـوتًا ، وحملته بهـدوء جدًا . واستـسلم لى تمامًا حـتى أنه لم ينبح ، وفـقط أخـذ يتـفـحص نظرتى ويشم مـلابسى وربت الكلب وقبـلت رأسه عدة مـرات ، وطاب لى صوف ذلك الكلب، وقلت فى هدوء: ما اسمك أيها الصغير ؟... ما اسمك ؟ فرد صوت حنون من خلفى اسمه : سالى .

وعند سـمـاع ذلك الصـوت الذى فـاجـأنى ، التـفت ورائى ، فرأيت أن ابن المالك قد وقف خلفى تمامًا ، وكان يشاهد تصرفاتى حينما كنت مشغولة بمداعبة الكلب .

ووقفت حـائرة للحظات أمام الصـبى بينما كنت أضـغط على الكلب تحت إبطى .

فسأل الصبى : أكيد أنت بهار ؟

ونظرت إليه متعجبة وقلت : من أين عرفت اسمى ؟

فضحك وقال : ألست أنت ابنة العم مراد ؟

قلت : لماذا ؟

قال : حـسن لقد سـألت أباك ، أعرفه منذ فـترة وقـد قال لى : اسم ابنتى بهار . حسن الآن تحدثى لأرى هل أعجبك (سالى) ؟

وفكرت وقلت : نعم إنه كلب جمـيل ، وأنا لدى بعض طيور العشق(٧) هناك داخل القـفص ، وأشـرت للصـبى إلى قـفصـهـا بأصبعـى ، وشغف بمشاهدتها للحظات ، وقـال الصبى الذى لفت نظره اهتمامى الزائد بكلبه :

إن سالى يعرف أشياء كثـيرة ، فلو أردت أشرت له ؟ فأومأت برأسى أننى أرغب أن أرى فنون سالى ، وألقى بها جانبها فأعادها

الكلب على الفور ، ودهشت من ألعـاب سالى ولكن الشئ الذى شغلنى أكثر هو سلوك الصبـى ، إذ إن تصرفاته كلها حنو ومودة ، وأحسست عرضًا لبضـع دقائق أنه ليس غريبًا عنى ، وكأننى كنت أعرف الصـبى منذ أيام طويلة ، واستغـرقت فى تلك الأفكار حتى سأل : فى أى سنة فى المدرسة يابهار ؟

ولم أكن أعرف بماذا أرد ؟ ودار فى ذهنى فـقط أن أبى قد قال إن هذا العام ، ستذهبين سنة أولى ، وفكرت ثم قلت : سنة أولى .

وضحك وقال : أحسنت يابـهار ، إن لدى كتب الفصل الأول سأحضرها لك .

ولم يتم جـملتـه بعد حـتى نادى عليـه خـادم مسن من الخـدم داخل العمارة ، وودعنـى الصبى بسرعة ، وبينمـا كان يذهب نحو العمارة قال : سأحضر صباح الغد سالى حتى تلعبى به ، وسأعطى الكتب العم مراد لكى يحضرها لك ، وتابعتـه بنظرة متحسرة حتى السلالم التى كـانت توصل حتى البهـو ، وبعد انصرافه أحـسست بضيق عجيب ، وكان كل شئ أشبه بالرؤية ، وكأننى قد رأيت كل تلك اللـحظات فى حلم ، وكنت مـازلت أحس بحـرارة جـسم (سالى) تحت إبطى .

وكانت معـرفتى بابن المالك باعثًا على أن أنـسى حذائى تمامًا ، وكـان كل فكرى منحصـرًا فى حديـثه والجـمل التى دارت بيننا ،

والتى مازلت أتذكرها ، وسألت نفسى : هل سيفى بوعده ويحضر الكلب لكى ألهو به ؟

ونظرت إلى قفص الطيور، فرأيت أن الشمس قد اقتربت منه ، فأنزلتها على الفور إلى أسفل واتجهت إلى غرفتنا ، وحكيت ماحدث لأمى ، فنظرت إليه غير مصدقة ، وسألت : ما اسمه ؟ فتمتمت وقلت لم أسأله عنه ، وتبسمت الأم وقالت : ليست هناك مشكلة : اسأليه غداً عندما يأتى ، وكانت تغرب الشمس ببطء ، بينما جاء الأب متعباً من عمله اليومى إلى الحجرة .

وكان يحمل كيساً بيده ، فنظر إلىَّ وقال تعالى يا بهارى فقد أرسل إليك ابن المالك هذه .

فأخذت كيس الكتب من الأب سعيدة وفتحتها على الفور ، وكنت أرى لأول مرة الكتاب طيلة سبعة أعوام هى عمرى ، وبدأت أقلب الصفحات ، وظللت مشغولة بمشاهدة الكتب حتى وقت طويل من الليل ، وبينما كنت مندهشة بالصور فقد غلبنى النوم فوقها .

وفى صباح اليوم التالى استيقظت بسرعة من النوم فنظرت إلىَّ الأم متعجبة وقالت : هل أنت جائعة ؟

قلت : لا .

قـالت : إذن لماذا استـيـقظت من النـوم هـذا الصبـاح بهـذه السرعة ؟

أجبت : إن ابن المالك سوف يحضر الكلب نلهو به معًا .

فضـحكت الأم بصوت عال وقـالت : ابنتى الحبيـبة إن أولئك لايستـيقظون مثلنا فى الصـباح ! فعندما تـسطع الشمس على كل ركن من أركان الحديقة ، يستيقظ أولئك ، ولـم أصغ لحديث أمى وخرجت مـن الغرفة جـائعة ، وتوجـهت إلى شجـرة الصفـصاف المجنونة التى تبعد مائة قدم عن حجرتنا .

ولما كـانت تهب نسـيم مـعـتـدلة من تحت أغـصان الأشـجـار وأوراقها، فقد طرد عبير أشجار النارينج كسل النوم عن جسدى ، وكان أبى يجمع أوراق الأشجار المتسـاقطة فى منطقة ليست بعيدة عنى ، وبالمكنسة اليدوية الطويلة التى كان يـمسك بها ، ألقى كومًا من أوراق الأشجار الذابلة جانبًا .

وكانت الريح الخفـيفة تهز أغصان الصفـصاف المجنون المتدلى بلطف وكأنه شـعر طويل لامرأة وقد نشـرته على كتفيـها ، وكانت الأنوار الذهبـية للشـمس تشـرق شيـئًا فـشـيئًـا من تحت أغصـان الأشجار فوق سطح الأرض .

وبينما كنت أعد الدقائق انتظارًا لمجيئـهما ، سمعت نباح سالى دفعـة واحدة ، وتوجهت صوب الجـهة التى كان يصدر منهـا نباح

الكلب ، ولم أشعر بنفسي حتى أخذ الاثنان يعدوان نحوى بينما كنت أنتظرهما .

فقلت لنفسي : ولد طيب ، أوفى بوعده .

وبينما كان يبعد عنى عدة خطوات قال : السلام عليك يابهار ، هذا هو سالى الذى كنت قد وعدتك به ، ورفعت رأسى بينما كانت حرارة نور الشمس تدغدغ عينى وقلت : سلمت يداك ، ياسيدى ..

فضحك الصبى الصغير وقال : سيد من ؟ إن لى اسمًا .

فقلت : بالأمس نسيت أن أسألك عن اسمك . وتبسم وقال : اسمى أمير هوشنج .

قلت : ياله من اسم طويل !

فضحك بصوت عال وقال : قولى أمير فهو أفضل ، أعلم أن اسمى ليس جميلاً مثل اسمك .

فتجرأت أكثر وقلت : لماذا ؟ إن اسم أمير جميل أيضًا .

راقه حديثى ، فضحك ثانية وقال : أحسنت يا بهار أنت فتاة مؤدبة ، فإذا سنحت الفرصة سأعلمك الأبجدية الفارسية حتى إذا فتحت المدارس ، وذهبت الفصل الأول تفوقت على جميع التلاميذ .

وبينما كنت أداعب فروة سالى ، قلت : ممتنة جداً ، ولكن وقد تذكرت موضوعًا مهمًا فسألته : هـــل تعيش هنا امرأة مجنونة ؟

فقطب أمير حاجبيه وقال : لا.. لا، عمتى قمر ليست مجنونة ، هى فقط مريضة قليلاً ، فمن قال لك هذا يابهار ؟

وفكرت قليلا وقلت : لا أحد ، بل سمعت صياحها بنفسى . فنظر أمير غاضبًا وقال : تلك المسكينة لاتؤذى أحداً ، ولكن حاولى ألا تذهبى إلى تلك الناحية من الحديقة ، فلو رآك أبى خلف العمارة فسوف يغضب .

قلت : لك ماتريد ، فلن أذهب هناك ، وأنا أخشى أن أذهب هناك بمفردى .

وبينما كنا مشغولين إلى حد كبير بموضوع العمة قمر جاءنا سالى يعدو نحو حجرتنا .

فجريت أنا وأمير وراء الكلب فى اتجاه الغرفة ، وعندما سمعت أمى نباح الكلب ، خرجت من الغرفة ، وبمجرد أن رأى أمير هيئة والدتى ، دهش ، وألقى السلام ، ولعل الشكل الظاهرى لملابس أمى القروية كان باعثًا على دهشته ، فدعته أمى حتى يأتى إلى حجرتنا ، وبمجرد أن دخلها ، جال بناظريه فى أرجائها ، فسأل : أمازلتم لم تحضروا أمتعتكم بعد ؟

فضحكت أمى وأجابته : ماتراه هو كل مانملكه ، فخجل أمير من السؤال الذى طرحه ، وشغل بشرب الشاى الخفيف ، بينما بدت عليه الدهشة .

ولما رأيته مشغولاً بالحديث مع أمى فى غرفتنا ، فقد سعدت بأنه أتاح لى الفرصة لأن ألعب مع كلبه الجميل ، ولن أنسى أبداً اللحظات الأولى للقاء أمى بأمير .

وقد لفت نظره جيبة أمى الطويلة غير المكوية مع البلوزة الوردية والتى كانت ممزقة من الجانبين ، وقد غطت شعرها برداء أسمر ، وربما كانت دهشته بسبب أن أكثر النساء اللائى كن يترددن على عمارة والده كن جميعًا يرتدين المعاطف والجيبات المواكبة للموضة ، وكن يلبسن القبعات بدلاً من الحجاب . بينما كانت ملابس أمى غير تلك الملابس التى كان يراها فى أغلب الأوقات . وأدركت أمى بذكاء سبب دهشته ، ووضحت الأمر قائلة : نحن نسوة قرويات لم نكشف حجابنا قط ، وقد دافعنا حتى آخر نفس عن حجابنا وعاداتنا القروية ، ولهذا السبب لم نغير ملابسنا ، وبقينا على النمط القديم ، وكأن أحاديث الأم قد استقرت فى وجدانه حتى أنه لم يرمش ، وكان يصغى إلى أحاديث أمى فى صمت ، وبعد انصراف أمير ، أحسست بالوحدة أكثر ، وشغلت بتقليب صفحات الكتب وأنا فى ضيق .

وقالت الأم فى سعادة : حبيبتى بهار ، اليوم ذهب أبوك ، وكمال حتى يقيداك فى المدرسة ، وإن شاء الله ستذهبين إلى المدرسة بعد عدة أيام أخرى ، وينبغى أن أحضر لك بشكل سريع حجابًا وحقيبة وحذاء .

فقلت فى سعادة : ولماذا لم تقولى لى ذلك مبكرًا حتى أقول له .

فسألت الأم تقولين لمن ؟

قلت : لأمير .

فضحكت الأم وقالت : إنه يفهم ذلك جيدًا ، إذ إن مدرسته قريبة من مدرستك ، وكان قد سيطرت على حواسى المدرسة والحقيبة والكتاب دون أى شئ آخر . ياإلهى العظيم .. يالها من أيام ربما تعتبر تلك الأيام من أفضل أيام عمرى ، وكانت قد فتحت أمامى دنيا جديدة ، دنيا الدرس والمعلم والمدرسة .. فخرجت مرة واحدة من ذلك الحلم الجميل وقلت لنفسى : وماذا عن طيور العشق ؟ إنى سأحزن لو لم آخذها معى إلى المدرسة ، فحزنت لذلك ، وقلت من سيقدم لها الماء والحبوب ؟ فقد كان عملى هو رعايتى لها .

وتذكرت عندما أحضرها لأول مرة والدى إلى المنزل وكانت مازالت أفراخًا صغيرة ، وقد صحت فرحة بها ، وقبلت وجه أبى عدة مرات ، وكنت أضع دائمًا قفصها بالقرب من فراشى ، وكنت أستيقظ كل صباح على أصوات نقر مناقيرها فى إناء الحبوب ، فلفت نظر أمى عدم راحتى فسألت فيما تفكرين ؟ قلت : فى طيور العشق ... فضحكت وقالت : لا أريد أن تقلقى وسوف أرعاها أفضل منك ، وينبغى عليك أن تهتمى بدروسك فقط .

وكانت الأيام تمر يوما بعد آخر ، وكان يعد أول أيام التحاقى بالمدرسة جزءا من ذكرياتى الماضية شيئًا فشيئًا ، ولايمكن أن أنسى أبدًا سعادتى بأول يوم كنت أتأهب فيه للذهاب إلى المدرسة ، وقد كان حجاب المدرسة أكبر من سنى ، وكان القماش رماديًا ، وكنت أربط على وسطى لأول مرة حزاما أبيض اللون ، وكانت قد ربطت أمى شريطا أبيض بشعرى على شكل فراشة ، ثم عقدته أسفل الشعر ، ولما كانت هناك مرآة صغيرة ، ولم أكن أستطيع أن أرى نفسى جيدًا ، فقد كنت أغضب من ذلك ، وكان أبى قد اشترى لى حقيبة جميلة .

وفى ذلك اليوم لم يكن لدى شئ بالنسبة للأطفال الآخرين ، ومع ذلك كنت أنا وأمير لمدة عدة أعوام متوالية زميلين ورفيقين فى المدرسة الابتدائية أكثر من جميع الأطفال ، كما كانت فصولنا فى وقت واحد ، وكان ذلك شيئًا غريبًا ، وقد كان هذا باعثًا على أن أحظى بالعطف الزائد لابن المالك ، وعلى الرغم من أن طريق المدرسة الابتدائية لم يكن بعيدًا حتى البيت ، إلا أننا كنا نسير معًا بصحبة كمال ، وكنا مشغولين طوال الطريق بأحاديثنا الصبيانية ،

وكنت أشير إلى الدرجة العشرين التى كنت قد أخذتها بسعادة إلى أمير وكمال .

وكنا نتسابق معًا فى بعض الأوقات حتى باب الحديقة ، وكان الشخص المتعلم الوحيد القريب منى هو أمير ، وكان دائمًا يجعلنى موضع عطفه ، وبسرعة أنهيت سنوات المدرسة الابتدائية الست ، ولم أعد تلك الفتاة الصغيرة القروية التى كانت منذ ستة أعوام من قبل ، بل الفتاة الشابة ابنة المدينة التى كان يفخر بها والدها ، وكانت نظرة أمى الزاخرة بالثناء على تشير إلى نضجى الواضح . ولايمكن أن تنسى من ذاكرتى السنة الأولى لالتحاقى بالمدرسة الثانوية ، وكنت أقف أكثر الأوقات أمام المرآة ، وكنت أتحجج بأننى أرى نفسى فيها ، وأستطيع أن أقول بجرأة إن نور تلك المحبة الطاهرة والصبيانية قد تحول إلى شعلة نار متمردة من عشق الشباب ، وبدا العشق الطاهر والأبدى بيننا واضحًا ، وهو العشق الذى ارتوى غصنه من السنوات السابقة من خلال تجربة الصداقة ، وقد أثمر هذا العشق حبًا غير ملوث وبعيدًا عن النزوات النفسية ، وهو الحب الذى عبرت عنه نظراتنا المتبادلة ، ولم تكن هناك قوة قادرة على محوه ، ومهما كبرنا ، فقد كانت الرغبة الشديدة فى اللقاء تتزايد لدينا ، وكان الحظ إلى جانبنا ، إذ إننا جعلنا من التعليم حجة مناسبة للقاءاتنا معًا ، وكنا نجلس معًا ساعات فوق منصة عريضة أمام الحجرة لنعبر عن أحاسيسنا الداخلية .

وقد واكب السنة الخامسة لدخولى المدرسة الثانوية ، السنة الأولى لدخول أمير كلية الحقوق بشيراز ، وفى اليوم الذى أدرك فيه أنه سوف يذهب إلى الكلية ، جاءنى سعيداً وأخبرنى بهذا .

فقلت مازحة : ماذا يعنى قبولك يا حبيبى ؟ فضحك بصوت عال وقال : كنت قد فكرت فى ذلك أيضًا ، وبعد ذلك تبادلنا النظرات المباشرة ، ثم قدم لى ديوان حافظ كهدية ، وبينما كنت أقلب أوراق الديوان وأقرأ أشعاره ، لفتت نظرى ورقة موضوعة فى الديوان ، حيث كتب بها هذا الرباعى الجميل .

(ألا تعلم أنك أنت حبيبى ؟)

(من بين جميع الأحبة)

(وأنت بدايتى ونهايتى)

(طالما لم تفصل روحى عن جسمى)

(إهداء إلى بهارى الجميلة)

وقد ترنمت بهذين البيتين مرات ومرات ، واغرورقت عيناى بدمع الشوق ، وكنت أود أن أصرخ داخل الحديقة قائلة ؟ أنت كل شئ لى ، وأنت آخر شخص يخفق قلبى له ، ولكن وا أسفاه فقد اضطررت ، لأن أسكت نداء قلبى فى جسدى ، ولماذا المسافة بينى وبينه كالمسافة بين الأرض والسماء ؟!

وفى اليوم التالى اشـتريت له فى مقابل الهدية القيـمة التى كان قد اشتراها أمير لى ، اشتريت له ديوان خواجو كرمانى الذى كنت أحب أشعاره كثيراً .

وكتبت له فى الصفحة الأولى من هذا الديوان هذين البيتين :

(لقد تعلمت أبجدية الحب على يديك)

(وأشعل شمع روحى بريق عينيك)

(وقد أصبح الصدر لوحًا نقش عليه وجه الحبيب)

(وقد ادخرت ثروة عشقك فى أعماق كيانى)

إهداء إلى نجم سماء كيانى

وفى ذلك اليـوم وفى وقت مناسـب قـدمت ديوان خـواجـو كهـدية لأميـر دون أن أجرؤ على النظر إلـى عينيه ، وكـانت يداى ترتعشان بوضوح ، وكان هو يلحظ تغـير حالى تمامًا ، وعدت إلى الحجـرة على الفور ، وشـغلت نفسى بالاطلاع على كـتاب هروبًا من نظرات أمى المتشككة ، بينما كانت كل حواسى وعقلى شاردة فى مكان آخر ، وتذكرت أول سنة لالتحـاقى بالمدرسة الابتدائية ، إن أبى قد أطلق سراح طيور العشق عندما وجدنى مشغولة بها إلى حد كبير ، وكان قد طيرها فى الحديقـــة ، وفى ذلك اليوم بكيت حتى المساء .

وقال الأب لتهدئتي : بهاري ، لقد ذهبتْ مثلك إلى المدرسة ، بينما كنت أيقنت أن أبي قد طيرها متعمداً ، فذهبت للفراش باكية ، ولكن يا أبي بعد مرور السنين ، الآن قد عششت حمامة العشق في حديقة قلبي ولن أسمح أبدًا لأي يد أن تطير هذه الحمامة من عشها ، وكأن الأب كان أمامي ، وكنت أحس أنني أعاني مثله ، فوضعت رأسي فوق الكتاب الذي أدهشني ، وشيئًا فشيئًا بكيت البكاء الذي كانت تفوح منه رائحة العشق ، وقد امتزج طعمه بالخوف .

وقد واكب آخر سنة في المدرسة الثانوية ، حيرة روحي في أرض العشق والفزع ، العشق الذي نمت جذوره في كل أعماقي وكياني .. والفزع الذي أثاره في ذهني هواجس الفرق بين الفقير والغني . وكأن الزمان يعيد نفسه دائمًا ، القصة القديمة لابنة البستاني الفقير وابن الخان الثري ، .. وفي أيام الطفولة كنت سمعت مرات ومرات عن قصة ابنة بائع الفحم وابن الملك ، وكنت قد قرأت موضوعات عن تشرد ليلى والمجنون ، ولكنني لم أتصور قط أن يد القدر قد خطت لي مثل هذا الأمر ، وكانت القرعة هذه المرة من نصيب (بهار) ابنة مراد البستاني وأميرهوشنج هدايت ابن سالارخان هدايت ، ... سالارخان الذي تجعل هيبة نظرته الإنسان يرتعد ، وعندما أقف أمامه أكون مثل أرنب بين

مخلبى عقاب .. لذلك لم تحجب الشمس طويلاً تحت السحب ، وفى النهاية انكشف أمرى لأمى وأخبرتها بصراحة عن قصة عشقى ، وبعد أن سمعت أحاديثى ، انزوت حائرة فى جانب ، وصمتت لعدة دقائق حتى بدأت الحديث قائلة : أنت تلعبين بالنار يابهار ! وعاقبة هذا العشق واضحة جدًا ، وأنت أول ضحية لهذه النار ، وسوف نصبح أنا ووالدك المسن رمادًا وسط شعل هذه النار ، وأنا لاأقول هذا من أجلى أو من أجل والدك ، بل أعنى أنك إلى أى جحيم سرت ؟ ! فهل سالارخان سيسمح لابنة السيد مراد البستانى أن تضع قدمها فى عمارته كعروس لابنه ؟! فلو كنت ساذجة إلى هذا الحد .. ففكرى قليلا ..

وقد أشعلت أحاديث أمى أول شرر النار فى كيانى ، ولكن الرابطة القوية التى وثقها الله بيننا لم تفسدها اليد الإنسانية .

وعلى الرغم من أنه لم تكن لدى الحرية السابقة لرؤية أمير ، وأن أمى كانت فى أغلب الأوقات تمنعنى عن لقائه ، ولكن هذا الحظر لم يتسبب فى أن يؤثر هذا على حبنا ، وقد أنهيت السنة الأخيرة من الدراسة بنجاح ، وذلك بالتحصيل الدائب ، وبعد أن حصلت على شهادة الدبلوم ، كان يعتقد أمير أنه يجب عليه أن يتحدث مع أبى فى شأنى .

وبينما كنت قلقة للغاية من تصريح أمير بمسألة خطبتى ، وكنت أستطيع أن أتوقع رد فعل أبى بعد خطبة أمير لى ، على الرغم من أن أميرًا كان يقول : إن حياتى الخاصة من شأنى أنا فقط ، فلو أطعت أبى لكان يجب علىَّ أن أعد حقيبة سفرى وأغادر إيران ، فى حين أن كل عشقى وأملى فى هذه البلدة ، وكم اقترح أبى علىَّ أن أذهب إلى الخارج مثل أختى وأخى ، ولكن لم أكن أهتم بهذا الأمر لصغر سنى ، ولعل فتاتى هى السبب فى هذا الأمر ، ومن ناحية أخرى عندما ارتبطت بك فقد وضعت أبى أمام الأمر الواقع ، وهو آجلاً أو عاجلا سوف يضطر إلى تقبل الواقع .

وعلى الرغم من أننى كنت أعرف أن أميرًا يتحدث هذه الأحاديث من أجل صداقتنا المحضة ، ولكنه أثار فى قلبى ثورة عجيبة، وفى النهاية رضيت أن يخطبنى فى وقت مناسب من أبى ، وتهيأت لأن أرد على أى اعتراض من قبل أبى .

ولما أننى كنت مؤمنة بهذا الحب فقد اعتبرت أن المخاطرة فى سبيل العشق أمرًا واجبًا .

ولكن هل كان يحق لى أن أعرض أبى وأمى لشر غضب سالارخان من أجل تحقيق مطلبى ؟!

إن هذا السؤال كان دومًا يقبض قلبى ، والمسلم به أن أميرًا أراد الزواج بى دون مشورة والديه ، وقد تسبب هذا الموضوع فى إشعال نار غضبهما .

وفى النهاية فقد دنت اللحظة التى كنت أنتظرها ، ودخل أبى الحجرة مضطربًا ، وبدأ يتحدث حديثًا غير لائق ، فارتعد بدنى رعدة غريبة ولم أقو على الكلام ، وقد كان وجه أبى مضطربًا إلى درجة أنه أقلقنى عليه ، ونظر إلى وقال : بعد كل هذه السنوات من العناء والمشقة تعبثين بشرفى إلى هذا الحد ؟ لقد سمعت كثيرًا أنكما تتحبان .. فأين أنت ذات الضفيرة المبتورة .. وأين ابن سالارخان ؟ بأية جرأة تخرجين عن ثوبك ؟! صبى صغير بمنتهى الجرأة يأتينى ويقول أنا وبهار نتحاب ، فلو تأذن لنا لن تكون هناك مشكلة أخرى ؟ وددت لو صحت فيه قائلا : أليس هناك مشكلة أو حساب يحسب إلا لأبيك ؟! فهل هو رباك أو أرضعك ؟ وكأن القضية بهذه البساطة بمعنى أن أوافقه فقط حتى يبارك الله فى النهاية هذا الأمر ؟!

وبينما كان أبى يردد هذه الجمل ، بكيت مثل سحابة الربيع ، ونظرت إلى أمى ، فوجدتها قد انزوت جانبًا مغمومة ومضطربة ، وأخذت تفكر فى مستقبلى المجهول ، ومن شدة غضب أبى ضربنى فى ساقى بعنف وقال : انهضى واجمعى الأمتعة بدلا

من البكاء ، فسوف نغادر هذا المكان فى صباح الغد على وجه السرعة .

وعندما سمعت هذا الأمر ، وضعت يدى على فمى بقوة حتى لايسمع بكائى خارج الغرفة .

وكانت الأم قد طأطأت رأسها وأخذت تبكى ، بينما راح الأب يضرب باب الحجرة غضبًا ، وكان أملى الوحيد منحصراً فى السيد كمال ، فكان يجب علىَّ أن أخبره حتى يخبر بدوره أميراً بموضوع رحيلنا .

وسألت باكية : إلى أى مكان سنذهب ياأبى ؟ فأجاب غاضبًا ؟ إلى جهنم ، المكان الذى لاتصل إليه يد هذا الولد إليك ..

فتجرأت وقلت : لعلك تعارض الزواج ؟

فتطاير الغضب من عينيه وصاح قائلا : إن الأجير لايعارض زواجًا ، ولكن ليس الزواج الذى يفنى أسرة بأكملها ، وتعلمين أن ذلك الرجل - سالارخان - ذو سطوة .. فأية نار ستشعلين ؟! واستريحى بالاً فسوف تسفكين دماء ثلاثة أشخاص فى هذه الحجرة فأية جرأة أكثر من جرأتك هذه إن شاء الله ؟! ولكننى وأمك سوف نرحل فى صباح الغد على وجه السرعة من هذا المكان إلى جهة غير معلومة ، وينبغى عليك أن تختارى أنت

إمـا نحن وإما هذا الولد ، فـإن أردت الزواج به فـينبغى أن تنسينا إلى الأبد ، وإلا يجب عليك أن ترافقينا صباح الغد .

وكان الهلع قد سيطر على كيان أبى، وأخذ يضغط يديه غضبًا ، وأخذ يقول صراحة : لم أكن أنا طفلاً قبل ذلك ، وينبغى أن أتخذ قـرارى بمنتـهى الجـرأة ، على الـرغم من أن أى شـخص آخـر لن يسـتطيع أن يعوضنى عن الـزواج بأميـر من وجهـة نظرى ، ولكن الانفصال عن الأب والأم ليس سـهلاً بالنسبة لى ، وكأن شـخصًا كان قد صاح داخلى قائلاً : لاينبغى أن تستسلمى للخوف .. إذ إن أميـرًا قد تجرأ واخـتارك زوجة المسـتقبل له ، إذن ينـبغى عليك أن تثبـتى وفاءك له ، وجـففت دموعى بمنشـفة ، وكـأن ثورة قد هبت داخلى ، ولكـن اضطررت لأن أخـتار طريقًـا واحدًا لاسـتمـرار حياتى ، فـإما أن أعرض عن عشقى وأملى خوفًـا من سالارخان ، أو أتجاوز كل هذه المشاق من أجل الزواج بأمير .

وقلت لنفـسى : إن كان قد واجـه كل هذه المشكلات بثـبات ، فلماذا لاأتحمل كل تبعات هذه الزيجة بروحى وقلبى .

وفى ذلك الوقت كنت قد اتخذت قرارى ، وكتبت فى الوقت المناسب رسالـة خطية بهذا المضـمون لأبى وأمى دون أن يشـعرا : أبى وأمى العزيزين ، لقد طلبتم منى أن اخـتار طريقًا من طريقين ، إما الزواج أو الرحيل ، وأنا الآن سوف أحـدد لكم اختيارى الذى

أؤمن به إيمانًا عميقًا .. إنى سأقبل الزواج بمنتهى الرضى من أمير ، على الرغم من أن هذا الزواج سيكون محفوفا بالمشكلات ، وآمل أن تصدقوا أن هذا الاختيار لايدل على عدم احترامكم ، بل إننى حتى آخر نفس سوف أحبكم مثل روحى الغالية ، وفى اللحظة التى سيصلكم فيها خطابى أكون قد رحلت من هنا ، ولكن لاتقلقوا علىّ ، ولدى حبيبى الوفى سأذهب عنده حتى يحين وقت زواجى ، فإذا عفوتم عنى ، تعالوا لرؤيتى ، وسأظل إلى الأبد أتوقع رؤيتكم وأستودعكم الله .

(بهار)

وكان الأب والأم غارقين فى البحث عن أمتعتهما ، بينما كنت قد اتخذت قرارى بالبقاء ، وأخفيت الرسالة جانبًا حتى أسلمها لكمال فى الوقت المناسب .

ولما أننى كنت أعلم أن أبى سوف يذهب إليه عندما يكتشف غيابى ، وسيسأله عنى ، إذ إن كمالاً كان بمثابة الأب الثانى لى ، ولمدة طويلة توثقت علاقتنا به أكثر من كونها مجرد صداقة .

وكان الرجل المسن الطيب القلب قلقا على مستقبلى ومستقبل أمير ، وكان كمال الشخص الوحيد الذى كان يحدثه أمير بصراحة عن مكنون سره .

وانتهت آخر ليلة لإقامتنا فى حديقة سالارخان ، ليلة صعبة ومنهكة ، حتى أنه لم يغمض جفنى فيها لحظة واحدة ، وكنت أود أن أنظر جيداً فى الصباح إلى أبى وأمى ، وأحسست كأننى لن أراهما ثانية ، ولم يعد لدى دمع أبكيه ، ونظرت إليهما نظرة جافة حزينة كلها دهشة ، ووددت أن أصيح فيهما : أيها الميت استيقظ ودعك من هذه التزمتات ، وآخر المطاف أى جرم جنيته حتى أتزوج الرجل الذى أحبه سراً بدون وجود الأب والأم ؟ فلو كان ذنبى الفقر ؟ فلا حق لى إذن فى العيش والعشق .. فلو لم يكن هناك المواطن والمزارع والعامل ، كيف أصبح هؤلاء الغافلون عن الله أصحاب كل هذه الأموال والمتاع ، بينما الخوانون ليسوا قادرين على زراعة قدم واحدة من الأرض .. وليس للأثرياء عمل سوى الأكل والنوم .

وهل المعاناة وشق الأرض وأكل اللقمة الحلال جرم ؟ وهل كل من حصل على لقمة العيش بعرق الجبين - ينبغى عليه أن يبتعد عن جميع الأثرياء ؟

هل لانعلم أن زعيم ديننا رجل الحق والحقيقة (على) (عليه السلام) كان مزارعًا وهو نفسه كان يستصلح الأرض بيديه المباركتين ؟ ولم يحس بالخجل قط من هذا العمل . يا إلهى ،

لماذا بعض هؤلاء غـافلـون عنك ، ومع ذلك يعـتـبـرون أنفـسـهم حكامًا مطلقين على مصائر الآخرين .

وكنت قد استغرقت فى أفـكارى حتى إشراق الصباح .. وقت الرحيل، وكان يجب عليّ أن أترك الحديقة قبل استيقاظ أبى وأمى ، وإلا لكان أجبرنى أبى على الذهاب معـه ، وحملت بعض أمتعتى التى كنت قـد أعـددتـهـا منذ المسـاء فى أحـد أركـان الحـجـرة ، وخرجت من الحجرة همسًا ، فهبت ريح شديدة ، فأسقطت أوراق الأشجار الذابلة فى أرجاء الحديقة ، ونظرت حولى وقلت لنفسى : أسـتودعك الله يـا أبى .. أستـودعك الله يا أمى العـزيزة ، آمل أن تصفحوا عنى .

ومررت على عجل من بين الأشـجار ، وكانت مازالت الرؤية غير واضحة ، وكنت مطمئنة على أن كمالاً مستيقظ لصلاة الصبح فى الغـرفة المجـاورة لبـاب الحديقـة ، فطرقت البـاب بهدوء عـدة طرقات بإصـبعى ، وسـرعان مافـتح كمال باب غـرفتـه ، فدهش لمجيئى ، وأجاب على تحيتى .

قلت : ليس لدىّ وقت كـاف ياعم كمـال ، فينبـغى أن أذهب بأسـرع مـايمكن ، وقلت لـه : أعط هذه الرسـالة لأبى ، وقـد وضحت له فـيها كل شئ ، واعط هذه الورقـة لأمير حتى يسـتدل على مكانى .

وكان يشاهد كمال فى حيرة يدى المرتعشتين ، وكأنه قد حزن فلم يتحدث قط .

قلت : ياعم كمال إن لم أذهب من هذا المكان قبل استيقاظ أبى فسوف يحرمنى من أمير إلى الأبد ، فهو خائف للغاية ، واليوم سوف يغادر (شيراز) بصحبة أمى ، وسوف أذهب أنا إلى منزل إحدى زميلاتى القدامى ، وقد كتبت العنوان لأمير ، وحاول أنت أن تعرفه بوضعى ، فينبغى أن يكتب إلىَّ بأسرع مايمكن .

فأصغى كمال بدقة إلى أحاديثى ، وهز رأسه عدة مرات مؤكدًا أنه فهم كل شئ .

وودعته على الفور وسرت فى طريقى بالقرب من قبر الشاعر حافظ ، إذ إنه ينبغى أن أمكث هناك حتى وقت الظهر ، وبعد ذلك سأذهب إلى منزل حبيبى ، وكان كمال يعلم قصتى أنا وأمير ، وأصر علىَّ إصرارًا قائلاً : لو احتجت لمساعدتى يومًا فسوف أقف إلى جوارك بروحى وقلبى .

وكان قد مر على مغادرة أبي وأمي مايقرب من أسبوع ، وفي هذا الوقت عقد عليَّ أمير بحضور كمال ، وقد اتخذت مراسم كتابة العقد شكلاً بسيطًا ودون أية استعدادات ، وكان قد انتابني إحساسان بالغم والسعادة معًا ، السعادة بسبب الرابطة الطاهرة والعميقة ، والغم بسبب غياب الأب والأم عن مراسم زواجي ، ولم يغب شكل وجهيهما لحظة واحدة عن عيني .

وكانت أحاديث أمي تتردد في أذني حينما كانت تقول : أتمنى أن أراك في ثياب العروس .

وفي بعض الأوقات كان أبي يستغرق في التفكير ثم يضحك ويقول : عندما تتزوجين يابهاري ، فإننا جميعًا سوف نحتار ولكن الآن لا الأب إلى جواري ولا الأم .

فسالت دمعاتي الحارة على وجنتي ، وعلى الفور جففتها بطرف حجابي ، وحتى لايحزن أمير عند رؤية بكائي ، نظرت إلى وجه كمال ، فبدت هالة من الحزن والسعادة معًا مرسومة على وجهه، وربما كان يفكر في تلك اللحظات في سالارخان وغضبه ،

ولما أنه كان يخدمه خلال هذه السنوات الطويلة ، فقد كان يعرف سيده أفضل من الآخرين .

وربما كان يقول لنفسه : هذه لحظات الهدوء قبل هبوب العاصفة ، ومن شدة سعادة أمير لم يبعد عينه عنى ، وبعد إتمام حفلة كتابة العقد ، وضع فى يدى خاتمًا جميلاً على شكل قلب ومرصعاً بالفصوص الماسية وقال هامسًا : أعدك بأن أحاول إسعادك حتى آخر العمر ، فأجبت عليه ضاحكة ، أعدك أن أكون وفية لك حتى آخر نفس .

فضحك وقال : ضعى عينى أمام عينيك .

وبعد توقيع قسيمة الزواج والانتهاء من الأمور القانونية لكتابة العقد ، تركنا المأذون وتوجهنا إلى المنزل معًا ، ذلك المنزل الذى استأجر فيه أمير غرفة لنا ، وخلال الأسبوع الذى قضيته إلى جوار حبيبى ، كان أمير قد أحضر كل شىء لحياتنا الأولى ، وبمجرد دخول زوجى الحجرة قلت له : أحسنت ، وكان أمير يطلب العذر عن الإمكانات القليلة التى كان قد وفرها لنا فيقول :

حبيبتى بهار هذا كله شىء مؤقت ، إذ إننا لن نبقى هنا طويلا ، فضحكت وقلت : إن وجودك إلى جوارى هو الشىء المهم فأنا لم أتزوج من أجل الثروة والمال .

فقبَّل يدى وقال : أنا فخور بإحساسك هذا ومعرفتك ، وسأتذوق جيداً مدى السعادة التى أدخرها الله لى ، وقضينا أول

أيام حياتنا المشتركة وسط ذلك الأثاث البسيط فى لهو كأننا توءم ، وكنت أعتبر نفسى أكثر نساء الدنيا حظًا ، ولم أكن أرغب فى أن أذهب إلى بيت والد أمير ، ومرت الحياة هادئة دون قلق ، وأعتبر أن تلك الأيام هى أجمل لحظات عمرى ، وأحيانًا كان يأتى لرؤيتى السيد كمال ، ولكنه لم يخبرنى قط عن أحوال أبى وأمى ، وانقضت ثلاثة أشهر ، أفضل أيام عمرى بلا مشاكل قط ، حتى اختل حال مزاجى شيئًا فشيئًا ، وكانت حالة (الترجيع) باعثًا على أن أرجع إلى الطبيب . وفهمت بعد الكشف عليّ أننى حامل فى شهرين ، وذات يوم وقت الغروب سقطت مغشيًا عليّ فى أحد أركان الحجرة ، وبمجرد أن رآنى أمير فى تلك الحالة بدا عليه القلق وسأل : هل أنت بخير يا بهار ؟

فأجبته بهدوء : لا شىء .. لا تقلق .. فقط قليل من الغثيان .

ونظر إليّ نظرة متفحصة وقال : إذن ، لماذا تبدين شاحبة ؟ انهضى لآخذك إلى المستشفى .

قلت : اليوم فى الصباح ذهبت للدكتور .

فدهش ونظر إلى وقال : ماذا .. أذهبت للدكتور ؟ إذن لماذا لم تخبرينى بذلك ؟

فضحكت وقلت : انتظرت الوقت المناسب حتى أخبرك .

فسأل فى عجلة : حسن تحدثى لنرى ما سبب تعبك ؟

ففكرت قليلا وقلت : لقد أصبحت حاملاً ..

فسعد كالأطفال وقال : أحقًا ماتقولين يا بهار .. الحمد لله .. لقد أصبحت أبًا .

وفى ذلك اليوم استغرق فى حُلم جميل للأبوة لدرجة أنه نسى حالتى السيئة .

وراح يقترح الأسماء المختلفة له ، ويتحدث عن لحظة ميلاد الطفل ، فضحكت وقلت : لاتخبر أحداً يا أمير عن ميلاده أبداً . فقال ضاحكًا : أغمضى عينيك .. وأتمى تسعة أشهر ، وعندئذ ستقولين لقد مر شهران وبقيت سبعة أشهر ، فنظرت إليه متحسرة وقلت : ليتنى مثلك متفائلة إلى هذا الحد ياأمير ... ولكن لاأعرف لماذا الحزن الثقيل يجثم على صدرى ؟! وحاولت بقدر ماأستطيع أن أتعلل فى حزنى بفراق أبى وأمى ، ولكن الإحساس الغامض قد جعلنى متشائمة من المستقبل ، واعتبرت أن كل تلك اللحظات شيئًا مؤقتًا وليس ثابتًا ، ونظرت إلى أمير الذى صمت فجأة واستغرق فى التفكير ، فسألت : ماذا حدث ؟

أجاب : لا .. فقط أحس أنه حان الوقت الذى أخبر فيه والدى وأمى بزواجنا ، فلا يجوز أن يظلا أكثر من هذا وهما لايعرفان ، خاصة وأنه الآن أصبح لهما حفيد .

وعندما سمعت أحاديث أمير ، خفق قلبى ، وارتعد كيانى كله ، فقلت فى نبرة مضطربة : الآن ما زال الوقت مبكراً ، فاصبر قليلا حتى تستقيم حياتنا ، وبعد ذلك أخبرهما .

وفكر وقال : لا ، لا .. هذا لايجوز .. وهل تعيشين على هذه الحالة داخل هذه الحجرة الحقيرة ؟ علاوة على أن لى حقًا فى العمارة الكبيرة ، وبالنسبة لك لاتقلقى ، وبمجرد أن يعرف أبى أن له حفيداً ، سيصفح عنى ، وسوف أذهب لرؤيته غداً بعد الظهر ، وسأحدثه بالتفصيل ، فاستعدى أنت أيضًا ، فإذا كانت الأوضاع على مايرام ، أتيت لك حتى نذهب معًا إلى المنزل .

ونظرت إلى سقف الحجرة طويلا وقلت : ياإلهى ، الاعتماد عليك فالحق مع أمير .. وحتام يستطيع أن يخفى هذا الأمر عن والديه ؟ ففى النهاية سوف يضطر يومًا أن يخبرهما بكل شىء .

وفى تلك الليلة ظللت أفكر حتى منتصف الليل فى موضوع ذهاب أمير إلى منزل أبيه ، ياإلهى حل أنت هذه المشكلة ، وكنت أدعو بهذا بينما لم أكن أصدق أن ذلك الرجل الفظ الغليظ القلب الذى كنت قد سمعت عن قساوة قلبه حكايات يمكن أن يدعنا وشأننا بسهولة .

وكان سالارخان هو الشخص الذى قد دس السم لشقيقته الوحيدة من أجل الاستيلاء على أموالها ، تلك المرأة المسكينة التى حرمت من نعمة العقل عمراً طويلاً ، والشخص الذى لم يكن قد رحم شقيقته ، كيف كان يرحمنى وأنا لاأساوى فى نظره شيئًا ؟

وكان والد أمير ذلك الرجل الذى كان يحكم مصير العديد من الناس بالقوة والجبروت والمال ، الآن كيف لهذا الرجل أن يصبح رءوفًا حتى يعفو عنا من أجل الطفل الذى حملته فى بطنى ؟ ومنذ ذلك اليوم الذى أخبرنى فيه السيد كمال بحادثة وضع السم للعمة قمر ، ظللت مشغولة بالجرم الذى كان قد ارتكبه سالارخان بيديه ، ولكن لم تواتى أحد الجرأة حتى يعارضه ويظهر حق تلك المرأة المسكينة .

وبينما كانت الساعة تشير إلى الواحدة بعد الظهر ، ارتدى أمير ملابس أنيقة ، وراح ينظر إلى نفسه فى المرآة فى سعادة وفى الوقت نفسه الذى كان قد وقف فيه أمام المرآة ، نظر إلىَّ وقال : اليوم اهتمى بأمرك .

وأود عندما يرى سالارخان عروسه ، أن يتملكه العجب والدهشة من الجمال الزائد الذى لايحتاج إلى أية زينة ظاهرية ، وسأذهب الآن يابهار .. وسأوضح لهما الموضوع بالتفصيل ،

وعندما تستقر الأمور ، سوف آتى إليك .. وعلى كل لاتقلقى أصلا ، فعندما يفكر أبى فى هذا الأمر لن يجادل .

وعندما ودعنى أمير وخرج من باب الحجرة ، ودعته بنظرة حتى باب الفناء ، وكنت أرغب فى أن أطلب منه قائلة : لاتذهب ولاتعكر صفونا ، ولكننى لم أكن قادرة على الكلام ، وكأن قوة خفية ألجمت لسانى .

وبعد أن ذهب أمير ، ارتديت الملابس الأنيقة ، وأعددت أفضل حجاب لى ، كما وضعت أمتعة قليلة فى حقيبة اليد ، حتى إذا أتى أمير لايتعطل ، وفى ذلك اليوم وبعد ليلة ممطرة نشرت الشمس الجميلة أشعتها فى أرجاء الفناء .

وكانت قد مرت ساعتان على رحيل أمير ، فنظرت إلى ساعة معصمى ، فكانت الساعة تشير إلى الثالثة وعشر دقائق بعد الظهر .

وحدثت ثورة داخلى، كما أن كثيراً من الهواجس قد تملكتنى ، وكأن صوت الأب يتردد فى أذنى حينما كان يقول : ليس الزواج الذى تضيعى فيه أسرتك، وأتى طيف وجه أمى أمامى حيث يقول : إنك تلعبين بالنار يابهار ، فنظرت حولى فسمعت فى ذلك الوقت صوت طرقات قوية على باب الفناء ، وكأننى أطرت سوستة

من مكانها ، فذهبت نحو باب الفناء بسرعة ، وفتحت الباب فوجدت السيد كمال أمامى ، وكان قد وقف مضطربًا شاحب الوجه ، فعندما رأيت وضعه المضطرب ، أصابنى الهلع ، فسألته بسرعة :

ماذا حدث يا عم كمال ؟

ويبدو أنه كان قد جرى مسافة طويلة ، إذ كان لايستطيع أن يلتقط أنفاسه ، ويتحدث بصعوبة ، وكان يبكى بحرقة وأخذ يلطم رأسه بكلتا يديه وقال : حظك أسود يابهار .. أسرعى يجب أن نهرب .

فنظرت إليه مضطربة ، وأخذت ألطم خدى وسألت : نهرب ؟ لماذا ؟

فصاح : أسرعى ، وضعى حجابك على رأسك ، فينبغى أن نذهب الآن من هذا المكان . لاتتأخرى فإن خدم سالارخان سيتعقبونك ، فلو عثروا عليك سيقتلونك ..

وعلى الفور جريت إلى الحجرة وأخذت حجابى وحقيبة يدى وابتعدنا بصحبة كمال من ذلك المكان ، ونحن نجرى ، وقد أمسك الرجل المسن المسكين بيدى من الخوف وكان يشدنى وراءه ، ووصلنا إلى مكان بعيد وخال : ووضع كمال صرة الملابس التى

كان يحملـها فى يده فوق الأرض وانخرط ى البكاء ، فـهدأ قليلا فسألته : تحدث لنرى ماذا حدث ؟

وبينما كـان قد اتكأ على الجدار ، نظـر إلى نصف نظرة وقال : لقد دخل أمـير الحـديقة منذ سـاعة ونصف السـاعة ، وفتـحت أنا بنفـسى باب الحـديقة له ، ثـم ذهبت نحو العـمـارة لقـضاء أمـر ، فرأيت أن الخدم قد وقفـوا فى ركن من الأركان ، بينما كان يسمع من خارج العمـارة صوت سالارخان وشتـائمه ، وراح يشتم أباك ويهدد أميرا بالموت ، فارتفع أيضًا صوت أمير عاليًا ، وسمعت أنه قال لأبيه :

أنا لست مثل العـمة قمر ، فـإن كنت قد أجهزت عليـها ، فلن أسمح لك بأن تمس زوجتى ، وشيئًا فشـيئًا زاد العراك بينهما حتى انطلقت من بندقيتـه طلقتان ، فذهب الجميع إلى الصـالة الكبيرة ، بينمـــا كـان أمـيـر المسكيـن يتلطخ فى دمـائه ، وكـــان قـد وقف سالارخـان مثل نمـر غاضب ببندقـية ، ورح يشـتم ويلعن ، وعلى الفور نادى عددًا من أجـرائه وأمرهـم قائلا : حيثـما وجدتم البنت اقـتلوها ، فلا يجـب أن توصـم أسرتى بالعـار ، وعندمـا سمـعت أوامر سالارخـان ، لم أتوقف ، وخرجت قبل الجـميع متخـفيًا من باب الحديقة حتى أنقذك .

وبعد أن سمعت القصة ، تدحرجت فوق الأرض مثل ثعبان جريح ، وأخذت أشد وجهى بأظافرى ورحت أبكى ، وأنظر كالمجانين فى كل ناحية ، وظللت لمدة ساعة كاملة لا أحس بجوارحى ، وكنت أضع التراب على رأسى مفزوعة وفى دهشة من أمرى .

وأخذت أبكى بحرقة قائلة : يا إلهى ، لماذا أخذت منى أميراً الآن ماذا أفعل ؟ والى أين ألجأ ؟ .. يا إلهى أهذا مصيرى الذى أصبح من نصيبى ؟ ياإلهى ماذا أفعل ؟ ياإلهى ماذا أفعل ؟ وأخذ كمال يبكى معى وكان قد وضع منديله فوق وجهه وراح يبكى بحرقة شديدة ، كما أخذت أبكى أنا فى هذه المنطقة الخالية بحرقة شديدة أيضًا .

وأمسك كمال بيدى وقال : انهضى يابنتى حتى لاتتأخرى ، إذ يجب أن تغادرى المدينة ، وإلا فإن رجال سالارخان سوف يعثرون عليك ، وينبغى على أيضًا أن أذهب إلى القرية بأسرع مايمكن حتى أنقذ أباك وأمك ، فلو تأخرت قد يظنون أنهما قد أخفياك فيقتلوهما ، حقًا ماتقول ياعم كمال ، فكل فعل من أولئك الرجال المتوحشين جائز . وكان يجب على أن أفكر على وجه السرعة ، ولكن واأسفاه ، لم يعد لدى قدرة على السير ، ومع هذا الوضع

المضطرب فكنت أشبه إلى حد كبير المجانين أكثر من الأفراد العاديين ، وقد وصلت مع كمال حتى جراش الأتوبيسات ، وتحرك الأتوبيس الجاهز نحو أصفهان ، وحجز الرجل المسن المسكين مقعدًا لي وأركبني الأتوبيس ، وانطلق هو مسرعًا إلى ناحية أخرى حتى يذهب إلى القرية .

وظللت أبكي طول الطريق حتى أصفهان في صمت وقلت لنفسي : ياليتني مت بدل أمير ، على الأقل لن أقض بقية عمري متشردة ، ياإلهي : اقتص أنت من ذلك القاتل القاسي ، فأي ذنب جنيناه حتى غدونا ضحية مثل هذا العقاب ؟ والآن أنا وحيدة مع هذا الطفل الذي أحمله في بطني فماذا أفعل وأين أذهب ؟ ولا أعرف أحدًا في أصفهان ، ومن ناحية أخرى فقد طردني الأب ولم أذهب إلى والدي حتى لايتعرضا للخطر ، وفي منتصف الليل كان الأتوبيس قد دخل أصفهان .

وفي نهاية الرحلة اضطررت لأن أنزل من الأتوبيس مثل سائر المسافرين ، وفي تلك اللحظة فقط أدركت ألم الغربة ومعاناتها ، وكانت البرودة القارسة قد سرت في جسمي كله ، فأخذت أرتعد كالصفصاف ، وكنت أنظر إلى كل مكان باحثة عن ملجأ ، وفي ذلك الجو البارد لم يكن يرى أي شخص في الشوارع ،

إذ إن المسافرين جميعًا قد اختفوا فى غضون نصف ساعة ، فتوكلت على الله وسرت فى طريقى ، وبينما لم أسر مسافة طويلة حتى رأيت ورود المسجد فحمدت الله وتوجهت نحوه وقلت لنفسى : المسجد أفضل مكان يمكن أن تلجأ إليه امرأة وحيدة ، وكان المسجد مغلقًا ، فطرقت باب المسجد بقوة عدة طرقات ، وكان يرى بالخارج ضوء خافت داخل فنائه ، وفى النهاية فتح لى ذلك الرجل المسن الخيّر باب المسجد ، ومن العناء كنت أبكى باستمرار وطلبت برجاء : خذ بيدى ، وفكر قليلا ، وآوانى داخل المسجد ، وبعد ذلك اصطحبنى إلى موضع الصلاة ثم انصرف ، وفى تلك الليلة أخذت أبكى بمرارة فى هذا المكان الخالى ، وتذكرت حينئذ غربة السيدة زينب وسط أطلال الشام ، وقلت لنفسى : الآن أحس جيداً بمعاناة تلك السيدة وآلام غربتها ، وظللت أبكى طول الليل حتى إشراقة الصباح ، وطلبت من تلك السيدة (زينب) المدد حتى أغمى علىَّ ، وعندما فتحت عينى وجدت عجوزاً حنونًا تسقينى بكوب به ماء سكر فتحسنت حالتى قليلاً .

ووفقًا لاقتراح الحاج كريم وبمساعدة تلك العجوز الحنون وبمساعدتكما أيتها الأخت وأيها الأخ ، قد تحسنت ، والآن أنا امرأة وحيدة أحمل طفلاً فى بطنى ، وهو الشىء الوحيد الذى

يذكرنى بفتـرة السعادة القصيـرة فى حين ليـس لى منزل أو زوج أو أب أو أم ، فأنا غريبة ووحيدة .

والآن ، قد عرفـتم قصتى كلها ، فلو أنكم مـازلتم ترغبون فى وجودى ، فـسوف أخدمكم بإخـلاص كخادم مـخلص ، فقط لى طلب واحد هو أن تحفظوا سر حياتى .

وهذا المطلب ليس خوفًا من خطر قد يهدد حـياتى الشخصية ، بل من أجل المحافظة على هذا الطفل ذلك التذكار الوحيد لأمير ، وأنا مستـعدة للمحافـظة على روح هذا الطفل أن أضحى بروحى من أجله ، ولن أضن عليه بشىء لإسعاده .

ونظرت شـيـرين إلى وجه بـهار حـائرة ، ثم بادرت وقـالت : نعـدك أنا ومعـين أن تكونى فى حـمـايتنا لنرعـاك أنت وطفلك ، وأظن أن الله أوكل إلينا وظيفـة رعايتك ، وقد جعل الحـاج كريم سببًـا فى هذا الأمر ، ومن اليوم فصاعـدًا ، أنت أخت لنا فى الدنيا والآخرة ، وأية مـساعدة تحـتاجينهـا اطمئنى لن نبـخل عليك بها ، وظللت فى تلك الليـلة أفكر حتى منتـصف الليل فى سـيرة بهـار المحـزنة ، وسـألت نـفـسى : هل هناك إنسـان بـهـذه الدرجـة من القسـوة ؟

كيف أن ذلك الرجل يدمر حياة شابين بريئين بقسوة قلبه ؟ وكان سبب مرور هذه الأسئلة فى ذهنى أننى اعتقدت أن جميع المزايا من اللّه سبحانه ، ونحن نختلف عن بعضنا كأفراد فقط من حيث الفهم والإحساس ، فلا الثروة دليل على تفوق الأشخاص ، ولا الفقر علامة على افتقاد الشخصية .

وإن الأفراد قصار النظر ذوى الفكر البالى هم فقط الذين يفرّقون بين الأفراد فى هذه الموضوعات ، فمن ولد ثريًا ؟ ومن أخذ ثروته معه إلى القبر ؟

وكان النوم قد طار من عينى بسبب الضيق والتفكير فى هذه المرأة الشابة البريئة التى تحملت كثيراً من العناء ، فقلت لنفسى : ينبغى أن نبدى كل احترام وتقدير خلال رعاية هذه المرأة ومساعدتها ، والقدر المسلم به أن بهار امرأة متعلمة ، وأنها كانت تستطيع أن تستفيد من شهادة الدبلوم بشكل أفضل ، ولكن للتحكم فى أعصابها والاعتماد على نفسها ، فإنها تحتاج إلى وقت طويل حتى يوصلها إلى بر الأمان فى هذا البحر المتلاطم بأمواج الأحداث .

وتعبيراً عن مساعدة زوجتى فأول خطوة قُمنا بها هى إشغال بهار بالعمل ، فأسسنا داراً صغيرة للسجاد فى غرفتها ، وعلمتها

شيرين طريقة النسج بصبر وجلـد فائقين ، فكنا نعتقد أنا وزوجتى أن العمل هو أفضل شيء لإشغالهـا ، ومن حسن الحظ فقد وفقنا فى ذلك .

وبتشجيع شيرين لها أبدت بهـار استعداداً لأن تذهب بصحبة شيرين عدة مرات إلى مقر المسجد ، وكان هذا التردد على المسجد سبباً فى أن تدعـو الجمـعيـة الإسلامـية للمـسجد بهـار من أجل تدريس القـرآن واللغة العـربيـة ، ومن خلال مـساعـدات الحاجـة رضايى والحـاج كريم ووقـوفنا نحن إلى جانبـها ، بدت عـلامات الثقـة بالنفس تظهر على بهـار بمرور الوقت ، خاصة وأنهـا كانت تحصل على راتب شهرى من الجمعية المذكورة .

ومع مرور الأيام والتفـاهم الزائد ، فقد توثقت علاقـة شيرين ببهـار كشقـيقين حـتى أن الجميع يعـتبرونـها أختين ، خـاصة وأن شيرين كانت تقدمها إلى جميع الأفراد باعتبارها الأخت الصغرى لها .

وكـانت بهار فى ذلك الوقت قـد أتمت شـهرها السـادس فى الحمل ، وكـانت الحيـاة لثلاثتنا حلوة ومُـرضيـة ، وفى أحد الأيام عـصراً ، أتت شـيرين إلى عـملى فى السـوق مضطربة ، وكـانت هناك بسمة على شفتيها تنم عن بشرى عظيمة ، ومن شدة السعادة لم تهدأ حتى تحدثت بلا مقدمات وقالت :

لدى بشرى يا معين .

اليـوم كنا نتـحدث بعـد غـدائنا أنا وبهـار ، وقلت لهـا أثناء الحديث أننا حُرمنا من نعـمة الأطفال ، فحزنت جداً عند سـماعها هذا الخبر ، وأخذت تفكر لمدة نصف ساعة ، ولم تتحدث مطلقًا ، وفى النهاية بدأت الحديث .

فقالت : هل أنت يا شيرين والسيـد يزدى مستعدان لأن تتبنيا طفلى ؟

وعندما سمعت هذا الاقتراح انـعقد لسانى ، وأساسًا لم أكن أعـرف ماذا أقـول لهـا ، وتساقطت دمـوعى فـقط ، ونظرت إلىّ بشكل مباشر وقالت : أنتم أناس شرفاء وطيبون ، وسأطمئن على أن طفلى يعيش فى كنفكمـا ، فى حين أننى مضطرة لأن أعود إلى أبى إذ إننى لم أنسه قط ، وسـأعلن دومًا ، بل وأحب أن لا يعرف هذا الطفل أصله أو نسبه .

والآن ، فإن هذا الطفل قد تيتـم قبل مولده ، ومن الأفضل أن أتحمل هذا الحـزن الثقيل بمفـردى ، ومن ناحيتى فـإن لى هدفًا من وراء ذلك وهو أننـى سـأضطر من أجلـه لأن أتخلى عن جـمـيع علاقاتى الدنيوية التى تربطنى به .

فلو رغبتما فى أن تتبنيا طفلى يجب عليكما أن تعطيانى كلمة شرف حتى لا يأتى يوم لضرورة ما ويعرف هذا الطفل أصله الحقيقى ، فيجب على طفلى أن يظن أنه ابنكما حتى آخر العمر ، وأن يفخر بالسيد يزدى سواء كنت على قيد الحياة أم ميتة.

وبينما كانت شيرين تعيد لى حديث بهار كانت عيناها مملوءتين بدمع التشوق ، ثم قالت : ليتك كنت أنت ، ورأيت بنفسك كم كانت بهار تتحدث هذا الحديث بمصداقية ، وإلى أى مدى كانت تثق فينا حتى أنها تخلت عن حقها فى طفلها .

والآن لم يتبق سوى قرارك ، فلو وافقت لم تعد هناك أية مشكلة فى سبيل تبنى طفل .

والآن ، فإن وجه شيرين ونبرة صوتها ، اتخذا شكلاً أكثر من مجرد الطلب أو الرجاء ، حتى أنها بدت متغيرة على غير عادتها نحوى ، فخرجنا من غرفة العمل معًا وأغلقنا الباب خلفنا ، ووصلنا إلى المنزل على وجه السرعة ، وكانت بهار دائمًا شخصية متسمة بالوقار ، وكانت هذه المرأة شخصية متزنة ونجيبة لدرجة أننى تمنيت أن تكون كل نساء العالم مثلها .

وجلسنا نحن الثلاثة فى الغرفة التى كنا نتجمع فيها فى أغلب الأوقات ، وكان بريق الفرح يلمع فى عينى شيرين ، وكانت تُرى آثار الرضى من اتخاذ هذا القرار فى عينى بهار بشكل واضح .

كما أن شيرين وبهار قد اتخذنا قرارهما ، وكان واضحًا تمامًا أنهما يفهمان بعضهما البعض بشكل كافٍ .

وبادرت بالحديث وقلت : بهار هانم أختى ، لقد تحدثتما كثيرًا فى شأن إيداع الطفل لنا حتى أن شيرين شرحت كل هذا ، وفيما يتعلق بالتعهد الذى أردته منا ، ومن وجهة نظرى أنه منطقى وعادل .

وذلك لأنه لو تبنينا الطفل ، ثم كشفنا عن نسبه وأصله لأحد، فإن الطفل سينشأ لديه عقدة نفسية متمثلة فى الشعور بالدونية والوضاعة ، إذن مطلبك معقول جدًا وأنا وزوجتى ننظر إليه بعين المنة ، وفى الوقت الذى كنت أتحدث فيه كانت بهار تبكى باستمرار . فأشفقت عليها وقلت : لا ينبغى أن تعترضى على المشيئة الإلهية إذ نسلم جميعًا بالمصير الذى قدر علينا منذ الأزل ، وينبغى علينا فقط الاعتماد على اللّه والتمسك بالأمل ، كما أننا نتقدم فى الطريق الصحيح ، والحمد للّه : بإرادتك القوية وأخلاقك الرزينة تغلبت على مشاكلك إلى درجة أن بعض النساء ذوات النفوذ فى الجمعية يحاولن أن ينهين أمر الوظيفة الرسمية لك فى إدارة الثقافة بشكل سريع ، ورفعت بهار رأسها قليلاً وقالت : أكثر اللّه من أمثالكما إذا إننى كنت أفكر مع نفسى دائمًا : لو أن اللّه لم يضعكما فى طريقى ماذا كان حالى الآن ؟

فقاطعتها وقلت : لقد قلت نفسك لو أن اللّه ... إذن سوف نعود إلى ما هو مكتوب ومقدر ، اطمئنى فقد كان مجيئك إلى منزلنا من الأمور الإلهية المقدرة .

فقالت شيرين التى سكتت لحظة لكى تصغى لأحاديثنا : فليجعل اللّه الطفل شبيهًا ببهار ... عندئذ سأقول للجميع إن طفلى شبيه بخالته ، فتبسمت بهار بسمة تنم عن رضاها وبدت آثار الاطمئنان واضحة على وجهها .

وأتمت بهار الشهر السابع فى حملها ، وواكب هذا وظيفتها الرسمية فى إدارة ثقافة منطقة أصفهان ، ولن أنسى أبدًا اليوم الذى كانت تقرأ فيه قرار وظيفتها سواء بالنسبة لى أم لشيرين وكأنها أختى التى ولدتها أمى مرة أخرى ، كما أن الحماس والاستعداد كان فى كلامها لا يمكن وصفهما ، وكان مقر تدريسها (مدرسة التوحيد الثانوية بنات) الواقعة فى نجف آباد ، وكان ينبغى عليها أن تدرس الدروس العربية والدينية فى تلك المدرسة ، وكانت الحياة تبتسم مرة أخرى فى وجه بهار ، وأشرق صباح الأمل فى وجهها ثانية ، واقترحت عليها أن تذهب إلى قرية والديها ثم تحضرهما إلى نجف آباد ، ولكنها أكدت قائلة : إن هذا الأمر أو الاقتراح ليس صوابًا فلو عرف سالارخان مقر إقامتى ، فإنه سيقتلنى ، وبالتأكيد إنه جنَّد بعض الرجال فى القرية

أن يخبروه إذا عرفوا شيئا عنى . علاوة على أن أبى وأمى قد تعودا غيبتى ، وليس لازمًا أن أقلق راحتهما ثانية .

وأظهر توضيح هذه الأمور بالنسبة لى من قبل بهار أنها عزمت على أن تبدأ حياة جديدة ، ، ولهذا السبب عزمت أن لا أذكرها بذكريات الماضى المريرة مرة ثانية .

وكان قد اقترب موعد بهار ، وقد استفادت من إجازة الوضع انتظاراً لموعد وضعها ، وفى النهاية دنا اليوم الموعود ، وبالفعل فى غروب يوم من أيام الصيف وضعت وليدين ، فدهشت أنا وشيرين من أمر اللّه وأخذنا نشاهد الأطفال ، وكانت رؤية حركة الطفلين قد أسعدتنا إلى درجة أننا لم نكن نشعر بمرور الوقت .

وكانت ترعى شيرين بهاراً وقلبها ينفطر ، وكانت تداوم على رعاية الطفلين فى شوق زائد ، وشيئًا فشيئًا استردت بهار عافيتها ، وفى هذا الوقت استخرجت شهادتى ميلاد باسم شهاب يزدى وشاهين يزدى ، وكان قد مرت أربعة أشهر على ميلاد الطفلين واستأجرت حسب طلب بهار بيتًا صغيراً لها فى نجف آباد بأصفهان ، وعلى الرغم من أننا لم نكن نرغب فى رحيلها ، ولكنها اعتقدت أنه آن الأوان لآن تتعود على فراقهما حتى يأنسا إلىّ وإلى شيرين كما ينبغى .

ومهما يكن من أن انفصالها عن طفليها يُعد مشكلة كبيرة إلا أنها أثناء توديعها طفليها قبلتهما وقالت :

إننى مطمئنة لأن ماما شيرين وبابا معين سيرعانكما بشكل أفضل منى ، وقد أبكتنى مقولة بهار هذه .

وفى تلك الأثناء كانت عينا بهار قد اغرورقتا بالدمع واحمرّت وجنتاها .. وأثناء مغادرتها منزلنا كانت دومًا تثنى على صنيعنا من باب الاعتراف بالجميل وكانت تقول : لن أنسى عظمتكما ما دمت حية ، وكان رد فعل وجه بهار أثناء الرحيل يدل على هذا ، وهى أنها تعد نفسها لهدف سام أكثر مما كنا نفكر فيه ، و كان هذا التفكير قد أشعرنى بالقوة التى أحسست بها فى كلماتها النارية عن الاستعداد القومى فى سبيل مكافحة الظلم .

واصطحبتها حتى الأتوبيس الذى كان متجهًا إلى نجف آباد ، وأهديتها قرآنًا صغيراً كتذكار لها ، فقبلت القرآن ووضعته فى حقيبة يدها ، وتوجهت إلى نجف آباد .

و كانت الأيام تمر يومًا بعد الآخر ، وكانت الحياة قد بدأت فصلاً جديدًا من فصولها أمامنا ، وكان وجود الطفلين فى المنزل قد ملأه سروراً وسعادة ، فكانت تلك اللحظات أفضل أيام عمرى ، وكانت بهار تقضى يومًا كل أسبوع فى بيتنا ، وكان

وجودها وسط أسرتنا قد ملأ البيت بهجة وسروراً ، وعندما كان الطفلان يناديان عليها خالة بهار ، كانت تغمرها السعادة ، ولكن شيئًا فشيئًا استغرقت فى الاطلاع على الكتب المختلفة والقيام بالتدريس حتى أن زياراتها الأسبوعية لم تعد تتم إلا بعد شهر .

وشيئًا فشيئًا عرف اسم (بهار قشقايى) لدى أكثر المثقفين ، وقد أثارت نجابة هذه المرأة الشابة وشهامتها وجرأتها دهشة جميع محبيها ، ويومًا فيومًا كان يتزايد عدد أتباع خطبها فى المساجد والمحافل الدينية ، وكان عدد كبير من المتعلمين من مريديها دون جدال ، كما أن أنشطتها السرية ضد الحكومة أصبحت معروفة للجميع لفترة طويلة ، وكنت أقول لنفسى إن بهار عادت ثانية للعب بالنار ، وعندما كانت تأتى لرؤيتنا فى أصفهان كنت أحاول أن أخبرها بالخطر العظيم الذى كان يهددها ولكنها كانت دائمًا تنظر نظرة تملؤها الإرادة والاطمئنان فتقول : ينبغى المخاطرة فى السفر إلى العشق .

ومع أن بهار قد أودعتنا طفليها وتنازلت عنهما كأم لهما ، إلا أنها قد وقعت بالفعل وثيقة تنازل لنا عنهما ، وكانت تسير وسط النار كسيدنا إبراهيم دون أن يتطرق أى خوف لها منها ، وفى أحد الأيام كنا قد ذهبنا مع شيرين والأطفال لرؤيتها ، فاستغرقت فى مشاهدة كتبها التى و ضعت فى أحد أركان حجرتها الصغيرة

وكأنهـا كانت تريد أن تبـحث عن كل أنواع الجمال فـى الدنيا من خـلال صـفـحـات تلك الكتب ، وكـانت نظرتهـا وكـلامـهـا وشخـصيتـهـا التى لا مثـيل لها كلها تعـبر عن حـرية المرأة المسلمة والإيرانية الأصلية .

كمـا أن النساء اللائى هن فى تاريخ هذه المنطقة أكـثر من أن يحـصرن وبعـد رؤيتهـا فى ذلك اليوم ظلـلنا فتـرة طويلة لم نكن نعرف عنها شيئًا ، باستثناء أنه فى بـعض الأوقات كانت الأنشطة المذهبيـة والأخبار الأخرى لبـهار تصلنا عن طريق نساء المسـجد ، وذات يوم وتحت إلحاح شيرين ذهبنـا إلى نجف آباد حتى أحضرها معنا لقضـاء عطلة الخميس والجمعة فى أصفـهان ، وعندما رأيت القفل الكبير مـعلقًا على باب الفناء ، اضطربت اضطرابًا شديدًا ، وجالت آلاف الأسئلة فى رأسى ، ومن حسن الحظ أن منزل زوجة صادقى التى كانت تعتبر من زمـيلات بهار ومن أصدقائنا ، كانت تعـيش فى الحى نفسـه فتـوجهنا إلى منزلنا فـضغطنا علـى جرس الباب ، ففتحت زوجة صادقى باب الفناء وبمجرد أن رأتنا أصابها الهلع .

وبعـد السلام والسـؤال عن الأحـوال ، أخذت تـنظر حولهـا ودعـتنى لأن أدخل المنزل ، وبمجرد أن رآنـى السيـد صادقى أقـبل علينا وأخـذنى حـتى غـرفـة الاستـقـبـال ، وبدون أية مقـدمـات اسـتفـسرت عن بهـار ، فنظر إلىَّ الزوج والزو جـة نظرةمتـشككة

فكانت هذه النظرة باعثًا على اضطرابى أكثر ، فسألت ثانية هل حدث شىء يا هانم ؟

فأجابت : بالأمس كانت الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكان موضوع حديث بهار دعوة البنات إلى المحافظة أكثر على ارتداء الحجاب والقيم الإسلامية ، وشيئًا فشيئًا خرج موضوع الخطبة عن حدها العادى ، وتطرقت بهار للموضوعات المحظورة التى لا يجب لأى أحد أن يخوض فيها ، وعبرت عن ذلك فى جمل نارية ثورية ، فأصغى لها جميع الحاضرين مشتاقين إلى خطبتها ، وفى تلك اللحظات لم يستطع أى شخص أن ينبهها لذلك ، وساد الصمت القاعة بسبب كلمات بهار الثائرة ، وفجأة دخل القاعة عدد من الرجال يرتدون ملابس خاصة ، وفى طرفة عين أخذوا بهار معهم ، وقد تم هذا الإجراء على وجه السرعة حتى أنه لم يستطع أحد أن يبادر بأى رد فعل تجاهه ، وبعد عدة لحظات ، اجتاح موظفوا المحافظة القاعة ، وبعد ضرب الناس وشتمهم اقتادو معهم عدداً من الفتيات اللائى كن يستفدن من بهار كشعار لأفكارهن .

واليوم فى الصباح فتش عدد من هؤ لاء الرجال منزل بهار وحملوا معهم عدداً من الكتب والأمتعة ، واستدعى مدير المدرسة الثانوية فى اليوم نفسه إلى إدارة الثقافة ، وأشيع بين الكتاب أن بهار قد وقفت مع الجماعات الإسلامية ضد النظام .

وفى الوقت الحالى لا يعلم أى شخص موقف بهار أو مكانها ولا شك أن أمامنا وقتًا طويلاً لكى نواصل كفاحها ، ولكن لما أن مدرسة التوحيد الإسلامية كانت تستفيد من المناخ الإسلامى ، فقد كانت تدافع عنها باستمرار ، وعندما سمعت هذا الموضوع من امرأة صادقى ، تيبست فى مكانى .. وقلت أخيراً أحرقتها النار التى كانت (تلعب بها) ونهضت دفعة واحدة وودعت أسرة صادقى وخرجت من الباب ، ولكن لم أجرؤ على الذهاب إلى البيت ولم أستطع أن أنقل هذا الخبر المفزع إلى شيرين .

وكنت أسير بالساعات فى الشارع مضطربًا مندهشًا من أمر بهار ، ولا شك أننى قد لاحظت الروح المتوثبة لهذه المرأة الحرة منذ اللقاءات الأولى وقلت لنفسى : إن إصرار بهار على الزواج من أمير بصرف النظر عن جانب العشق الطاهر فى قصتهما ، كان نوعًا من التمرد العلنى على ظلم سالارخان وجبروته .

ومن ناحية أخرى ربما ما يبدو فى نظرنا خطراً وناراً كانت تعتبره تحقيقًا لهدفها من وجهة نظرها البعيدة ، وربما أن بهار كانت تريد من (اللعب بالنار) أن تثبت لنفسها أنها تحقق مبادئها ، وإلا فى ظل هذه الظروف التى يخشى الإنسان فيها من ظلمه ،

كيف لامرأة وحيدة لا سلاح لهـا إلا سلاح الإيمان وقوة العقيدة ، أن تصارع بهذا الشكل أنصار الباطل ؟

ولا مناص من أنني عـدت إلى البـيت خـالـى الوفـاض من الأخبار الطيبة ، وعندما سمعت شيرين بالواقعة التى حدثت لبهار بكت لسـاعـات ، ولـم تكن لدينا حـيلة سوى الصـبـر والانتظار ، الانتظار الذى امتد إلى سنة بل سنوات .

وفى اليوم الذى أرانى فيه كل من شاهين وشهاب شهادتيهما لمرحلة الدبلوم المتوسطة وهـما فى نشوة ، ونظرت إلى درجاتهـما مندهشًا ، رأيت وجـه بهار البرىء بدلاً من وجـهيهمـا ، فبكيت ، وكان الولدان يظنان أننى أبكى سـعادةً ، لأنهما شـغلا على الفور بمفارقـتنا ، بينما كانت دمـوعى تتساقط على وجـهى بسبب الظلم الذى وقع على أمـهمـا الحـقيـقيـة .. تلك الأم التى تغـاضت عن وجودهمـا تمامًا حتى تشغل نفـسها بهدف أسـمى من عشق الأم ، أى عشق الدين والوطن والإنسانية .

وبعد انتهـاء فترة الثانوية لشهاب وشـاهين فقد اضطررنا إلى ترك أصفـهان ، ولماذا .. لأن شهابًا قـد قُبل فى الهندسة المعـمارية بجامعة شيراز ، وأصرت شيرين على أن لا تتركه أثناء فترة تعليمه وحيدًا ، بينما كان شاهين يعشق بشدة العمل الحر والتجارة خلافًا لشقيقه .

وفى السنة الثانية من التحاق شهاب بالجامعة ، توفيت شيرين إثر سكتة قلبية ، وقد ترك موت شيرين أثرًا عميقًا على روحى حيث كنت أحبها كثيراً ، وقد تسبب هذا الأمر فى أننى قد أصبت بهذه السكتة بعد وفاتها بستة أشهر ، وقد شُلت إحدى قدمّى نتيجة هذه السكتة ، ومنذ ذلك اليوم فصاعداً ، بدأت أيام حياتى الصعبة ، وذلك بسبب ألم ملازمة الفراش من ناحية ، وبسبب الحزن على فقد زوجتى الطيبة الحنون من ناحية أخرى .

ولكن اللّه قد خلق الطبيعة البشرية بالشكل الذى يمكن لها أن تتأقلم مع أى شىء . وعلى الرغم من أن ولدىّ قد تزوجا بعد عام واحد من وفاة زوجتى أملاً فى ا لتخلص من الحزن والوحدة . ولكن واأسفاه إن الدُّرر الثمينة التى تشبه شيرين وبهار نادرة الوجود ، إذ إننى سرعان ما أدركت قسوة عروسى الابنين . وتركنى شاهين بعد زواجه على وجه السرعة ، وشُغل بحياته ، ولكن شهابًا قد لازمنى فترة طويلة ، حتى اضطر إلى مغادرة بيت الأب بسبب ضغط زوجته المتكرر ، وأهمل الابنان العناية بى كما ينبغى أن تكون العنا ية والرعا ية ، ولكن شيئًا فشيئًا انقطعت هذه العناية تمامًا . وفى تلك الأثناء فإن العجوز الحنون التى كانت تتولى شئون منزلى ، قد احترق قلبها وهى تشاهد حالتى هذه وفى

صباح أحد الأيام أحضر البوسطجى رسالة لى من طرف الحاج كريم صديقى القديم .

وطوال السنوات التى كنت بعيداً عن أصفهان ، كنا دائمًا نتراسل ، وكان هذا الرجل فى أكثر الأوقات يهتم بأمرى من خلال الرسائل ، وفتحت الظرف ، فكان به رسالتان ، ففتحت إحداهما فرأيتها من طرف الحاج كريم ، وبعد السلام والسؤال عن الأحوال وجدت أن شخصًا مجهولاً كان قد أعطاه رسالة حتى يوصلها الحاج كريم لى ، وبحثت الأمر ، وفتحت الرسالة الثانية التى كان أحد الأشخاص المجهولين قد أعطاها للحاج كريم ، ولكن هكذا دهشت إذ إننى قد قرأت الرسالة عدة مرات من بدايتها حتى نهايتها ، فأدركت أن الرسالة الثا نية من بهار ، إذ بعد سنوات طويلة من الغفلة كانت هذه أول رسالة لها ترسلها لى .

وكانت الرسالة قادمة من بريد قرية أحمدى فى (بندر عباس) والشخص الذى كان قد أرسل الرسالة إلى الحاج كريم كان والد إحدى التلميذات التى كانت بهار تعلمها فى قريتهم ، وكانت بهار قد كتبت هذه الرسالة ثم سُجنت بسبب أنشطتها السياسية ضد النظام الحاكم ، وحكم عليها بالسجن لفترة طويلة . وأخذت نفسًا طويلاً ، ونظرت إلى الرسالة مندهشًا وقلت لنفسى : يا إلهى لقد منحت صبراً عجيبًا لهذه المرأة ، والحقيقة أن إرادتها فى قوة

الجبل وقلبها فى اتساع البحر .. وانهمرت الدموع من عينى ، وودت أن أذهب إلى قريتها مترجلاً ، وأن أبثها همومى ، ووددت أن أجلس أمامها وأن أخبرها بوفاة أختها المفاجئ ، زوجتى الطيبة الوفية التى طارت مثل حمامة ، ووددت أن أحكى لها عن عروسىّ ولدىّ وعقوقهما وألم المرض . ولكن واأسفاه لم تعد لى قدم ثانية لأسير عليها .. فأطرقت رأسى وبكيت على حال بهار وحالى .. وبينما لم تمر ساعة واحدة على وصول رسالة بهار حتى سلمنى المحضر رسالة من المحكمة ، وعندما رأيتها واطلعت على ما بها ، صُعقت عندما عرفت أن رافع هذه الدعوى ولداى ، وفى تلك اللحظة كنت كالمسافر الذى اجتاحه الطوفان ولم أشعر بنفسى مطلقًا ، ثم قلت لنفسى : اللعنة على مال الدنيا كله ، والذى هو أتفه من بصقة الفم .

ولا مناص من أننى قد حضرت إلى المحكمة فى الساعة المحددة والوقت المذكور ، وبعد سنوات كان ذلك اليوم أول مرة سمعت فيها أن اسم القاضى هو شنج هدايت ، فقلت لنفسى : إلهى العظيم ، هل من الممكن أن يكون هذا الرجل هو نفسه أمير زوج بهار ؟

وطوال الدقائق التى كنت قد جلستها فى المحكمة ، وكنت أنظر إلى وجه الرجل الذى كان فى الحقيقة والد ابنىّ .

وكـان وجه الشـبه بـين القاضى وشـهـاب إلى درجة كـبيـرة وكأنـنى كنت قد رأيت هدايت وهو فى الخـامسـة والعشـرين من عمره . كـما أننى لم أهتم بالموضوعات المطروحـة فى تلك الجلسة ، إذ كانت الحـادثة كالحلم ، وهو الرجـل الذى كانت تظنه بهـار قد مات ، وهو الآن قد جلس على مـقعد القضاء صحيـحًا ومعافى ، وقلت لنفـسى : ينبـغى أن أتحـقق اليوم من هـذا الموضوع ، وبعـد انتهاء الجلسة أخـذت السيد فروغى محامى جـانبًا ، وقلت : عفواً ياسيد فروغى أليس أصل القـاضى هدايت يزد ؟ فضحك وقال : كـلا ، كـلا يا سيـد يزدى . القـاضى هدايت شـيـرازى ، وهو ابن سالارخان هدايـت ، وقد كان والد القاضى من الرجـال أصحاب النفـوذ فى فـارس ، وللأسـف فـإن والـده قـد تُوفى ولكن والدته ما زالت على قيد الحياة .

وبعد أن سمـعت هذا الموضوع من السيد فـروغى ، اطمأننت فـيمـا يتـعلق بالقـاضى مـائة فى المائة ، وعلى الرغم من أننى قـد أحسـست بالشـبه الزائد بين القـاضى وشهـاب وذلك منذ الوهلة الأولى إلا أننى قد سـألت فروغى من باب الاطمئنان أكثـر ، وقد طرحت سـؤالى على نحـو لا يثـير الـشك لدى السيـد فـروغى ، ويبقى سـؤال واحد وهو الذى كان يؤلمنـى : لماذا هدايت لـم يسأل عن بهار طـالما أنه على قيد الحـياة ؟ ولكننى قلت بـعد ذلك لا بد

وأن هناك سببًا مقنعًا وراء هذا الأمـر ، ولماذا تزوج أمير برغبته من بهـار ، وبعد تفكيـر عميق فى هذه القضـية ، صـممت أن أخـبر القاضى هدايت بأحوال بهار .

وعلى الرغم من أن بهار قد أكدت علىَّ أن لا أفشى هذا السر لأحد ، إلا أن كـتمان هذا السر فى هذا الوقت لا محل له ، وكان يجب علىَّ أن أخبر القاضى هدايت بهذه المصيبة التى وقعت فيها بهار المسكينة منذ سنوات ، فربما كـان يستطيع بالنفوذ الذى له فى المحاكم أن يـنقذ بهـار من ذلك البلاء .. وقـد صممـت أن أكتب رسالة خطيـة إلى هدايت وأطلعه بالمعلومـات التى قد كـتبتـها فى هذا الكتيب و التى تحكى أحـداث قصة زوجتـه ، وربما إذا أفشيت سـر بهـار يتـخلص إلى الأبد مـن آلام حـيـرته . ولماذا أحس أننى أقـضى آخـر أيام عـمـرى ، ويا له من عـمـل طيب أن تكون آخـر لحظات حياتى هى بداية حياة جديدة لبهار .. إن شاء اللّه .

معين بزوى

وكانت الشمس تغرب شيئًا فشيئًا ، وكان جو الحديقة المحيطة بالعمارة صامتًا وثقيلاً ، ولم يكن يسمع صوت سوى نعيق الغربان التى أخذت تطير وسط الأشجار ، و كلما أظلمت الدنيا ، زاد الجو برودة أكثر ، وكان القاضى هدايت مستغرقًا فى الاطلاع على الكتيب فى غرفته ، ذلك الكتيب الذى أطلعه على الحقائق المرة عن حياة زوجته بالتفصيل .

وفى الغرفة المجاورة لحجرة القاضى ، راحت أمه جوهر تاج تتكئ بكل قواها على عكازها ، وأخذت تنظر على نقوش السجادة التى كانت ملقاة وسط الحجرة ، وغرقت فى أفكارها لساعات طوال ، وأحيانًا كانت تقول لنفسها متمتمة : إن عمرى لن يطول أكثر من هذا ، وقد كبرت ، فحتام نضلل أميراً بالكذب والرياء عن معرفة الحقائق المرة التى تتعلق بحياته ، وهو من حقه أن يعرف أننا خدعناه لسنوات بحكاية القبر الخالى من الأموات حتى لا يفكر فيما وقع لزوجته من أحداث ، وقد كذبنا عليه جميعًا أنا ووالده وكمال جميعًا ، فنحن جميعًا كذبنا عليه ، ولكن فى كل مرة أنظر إليه ، أود أن تُفتح الأرض وأن تغور بى .

وأى ظلم أكثر من هذا ، أن يظن الابن أن زوجته قد قتلت فى حادث تصادم سيارة ، بينما نحن بالخطة التى نفذناها بمساعدة كمال قد شردنا زوجته من (شيراز) وبعد ذلك افتعلنا السيناريو الذى يقول إن بهار قد قتلت فى حادث سيارة ، وعندما أظهر كمال ملابس بهار الملطخة بالدم الكذب لأمير ، فإنه قد صدق أنه قد فقد زوجته إلى الأبد ، ولإكمال الخطة أمر سالارخان بعد فترة من حدوث هذا الأمر أن يخفوا كما تمامًا حتى لا يأتى اليوم الذى يعرف فيه أمير قصة هروب زوجته وحكاية القبر الخالى .

وحاولت جوهر تاج دائمًا بالتحرك من على مقعدها المريح والضغط على عكازها أن تقلل من الضغط الشديد الذى كان يسحق روحها وكيانها ، وأخذت تجفف عينها بطرف شالها الأسمر الذى يغطى كتفيها .

فقالت لنفسها : لو مت وأمير لا يعرف هذه الأحداث التى من حقه أن يعرفها ، فإن الله لن يسامحنى ، على الرغم من أن إفشاء هذا السر والتحدث فى هذه الموضوعات يعتبر أصعب من موتى مائة مرة .. ولكن ينبغى علىّ أن أزيح هذا الحمل الثقيل من فوق صدرى وربما يكون إفشاء هذه الموضوعات سببًا فى أن يصفح عنى أمير وإلا سوف أصبح مدينة له حتى الأبد .

فنهضت العجوز بمشقة من فوق المقعد ، وسارت متوكئة على عكازها ، وقد واكب صوت الطرقات التى ضربتها بعكازها مع

نحـيب القـاضى هدايت الذى كـان يقـرأ آخـر ورقـة فى الكتـيب المذكـور ، وكان يـقول القـاضى هدايت وهو يبكى بـحرقـة : لماذا كذبتم عليَّ هذه السنين ؟ يا إلهى لقد أحببت قبراً خاليًا لمدة طويلة بينما زوجتى أسيـرة كل هذه المتاعب . لماذا أنا سيئ الحظ إلى هذه الدرجـة ؟ ولماذا ظلمنى أبـى وأمى إلى هذا الحـد ؟ فـهل ارتكبت جرمًا ؟ وعندمـا سمعت جوهر تاج بكاء ابنهـا الممزوج بالشكوى المرة ، دقت الباب بقوة وقالت : افتح الـباب يا أمير .. يا اللّه افتح الباب يا أمـير .. وسـوف أخبرك بكل شيء . ورق قـلب القاضى لسمـاعه بكاء أمه ، وفـتح الباب لها ، وبمجـرد أن رأى أمه ، ألقى بكتيب ذكريات معين بعنف تحت قدم أمه وقال :

لماذا كذبتم عليّ ؟

وما حكاية القبر والملابس المـلطخة بالدماء ؟ ولماذا حتى الآن أخفيت عنى كل هذه الأشـياء ؟ وهل أنت كنت أمى ألـم يكن فى قلبك ذرة رحمة ؟

وعندما كنت أذهب كل خـميس أحمل باقة ورد إلى الـقبر ، ألم تخجلى من معاناتى هذه المستمرة ؟

واتكأت جـوهر تاج عـلى الجـدار وجـلست بهـدوء وسط الحجـرة ، ومن الخجل لم تجـرؤ على أن تنظر إلى ابنهـا ، ثم قالت

فى كلمـات ممزوجة بالحـزن كـانت تخرج من حلـقهـا بصعـوبة : اسكت يا أميـر ، وأعطنى الفـرصـة حـتى أوضح لك كل شىء ، فـمن الممكـن أن تكون هذه اللحظات هى آخـــر لحظات عـمـرى واعطنى الفرصة وأصغ إلى أحاديثى جيداً .

فى اليـوم الذى جئت لرؤيتنـا فيـه حتى تخـبر والدك بحـادثة الزواج ، أغـمى على بسـبب رصاصـة المسـدس التى ضربك بهـا والدك فى قدمك ، وبعـد ذلك أمر والدك من أجل معالجـة قدمك بأن يحبسوك فى بدروم العمـارة حتى لا تعود إلى زوجتك ، وفى اليوم نفسه اختلى والدك بكمال جانبًا ، وأراه وثيقة ملكية وقال له : لو أردت أن تكون صـــاحب هذا الملك ، ينبـغى أن تُـشـــرد تلك البنت من شيراز تمامًا ، قبل حلول الليل .

وكان يعلم والدك أن كـمالاً يعرف جيداً مكـان إقامتك أنت وبهار ، ولهذا السـبب أعطى كمالاً مبلغًا كبـيرًا من المال وقال له : إذا شـــردت هذه البنت ، اذهب وأحـــضـــر لى بعـــد ذلك بعض ملابسها من حجـرتها ، وما إن أظلم الجو حتى عاد كمال مـبتسمًا وكأنه منتـصر وقال : لقـد أخفت تلك البنت بحيث أنهـا لن تعود إلى شيراز إلى الأبد ، فضرب أبوك على كتفيه منتشيًا وقال : الآن اذهب ولطخ ملابس بهار بدم الخروف ، فإذا مـا تحسنت حالة أمير أظهر له تلك الملابس وقـل له فى ذلك اليوم الذى لم تعد فـيه إلى

المنز ل ، أتت بهار تبحث عنك ، وتوجهت خائفة إلى بيت سالارخان ، وعندئذ صدمتها سيارة فى ظلمة الليل وقتلها ، وعندما كنت طريح الفراش بسبب الجراحة التى فى قدمك دفنها والدك دون علمك بشكل محترم فى مقابر المدينة ، وأثناء هذه الأيام التى يكون فيها أمير ملازمًا للفراش ، أعدّ قبرًا وضع حجرًا من المرمر باسم بهار قشقابى فوقه ، وفى الوقت المناسب خذ أميرًا نفسه إلى القبر ، ودلّه على قبر بهار ، ولما أن أميرًا يُعزك - أى كمال - فإنه سوف يصدق كلامك .

كما أن كمال الذى زاد طمعه ونهمه ، كان قد نفذ كلام أبيك بالحرف الواحد ، بينما يأّس بهار بمهارة من ناحيتك ، وشردها إلى أصفهان .

وبعد فترة وحتى لا تعرف هذه المؤامرة ، أمر والدك أن يؤخذ كمال إلى مكان مجهول ويعدم ، حتى تختفى هذه الأحداث إلى الأبد ، ولكننى منذ سنوات وأنا معذبة الضمير، و كلما أردت أن أفتح فمى وأتكلم ينعقد لسانى خجلاً ، ولكن بالأمس رأيت حلمًا مفزعًا فعزمت أن أخبرك بكل الأحداث على وجه السرعة ، وبالأمس أتانى والدك فى المنام فى شكل سيئ لدرجة أننى فزعت من رؤيته فهربت منه ، وكان يرجونى ، ويجرى ورائى ، ووقفت لحظة واقترب منى ، وركع تحت قدمى و قال : افعلى شيئًا حتى يسامحنى أمير .

وكرر هذه الجملة عدة مرات ، وبعد ذلك ابتعد عنى شيئًا فشيئًا ، وعندما استيقظت من النوم ، كنت غارقة فى العرق ، ومنذ الأمس حتى الآن وأنا فى صراع مع نفسى حتى تلك اللحظات السابقة ، وفى النهاية عزمت على أن أخبرك بكل الحقائق حتى أخفف عن نفسى العذاب والحمل الثقيل .

وجفف القاضى هدايت دموعها بظهر يده ، وخرج من الحجرة متباطئًا وخرج من باب خروج الصالون ، وسار حتى البهو، وكانت قد هبت ريح باردة ، ولكن من شدة حرارة جسده لم يشعر ببرودة شهر بهمن ، ونزل حافى القدمين من سلالم البهو ، ومر من الطريق المفروش بالسجاد القيم الذى يصل حتى نهاية باب دخول الحديقة ، وكان ينظر حوله كالأفراد غير الطبيعيين ، وكان الظلام قد خيم على الحديقة كلها ، ولكنه كان يعرف جيدًا الطريق الذى كان ينتهى بأطلال غرفة مراد والد بهار .

ومر خلال ظلمة الليل وسط الأشجار الضخمة ، وشيئًا فشيئًا بدا شكل الغرفة الخربة كظل من السواد والتى كان يعيش فيها يومًا ما بهار وأسرتها ، واقترب هدايت وشيئًا فشيئًا من تلك الغرفة ، وجثا على ركبتيه فى منتصف باب الغرفة التى تبدو الآن كطلل من الأطلال ، وفى تلك الأثناء لم يكن يُسمع فيها إلا صوت الصراصير والحشرات .

وأخذ ينظر هدايت مندهشًا إلى تلك الغرفة ، ووضع يديه على وجهه وراح يبكى فى صوت عال ، وكأنه بعد هذه السنوات كان يرى بهار أمامه ، ويخاطبها ، وكان يقول : قسمًا باللّه إننى كنت أحس ذكراك لسنوات فى حجر ذلك القبر ، وإننى لم أذرف تلك الدموع حزنًا على افتقادك ، بل لأننى لم أصدق أبدًا أنك أنت تركتنى إلى الأبد وذهبت ، وفى أكثر الأوقات كنت أقف على باب الحديقة فربما تأتين منه ، ولكن واأسفاه إذ إن الأيدى المخادعة والألسنة الكاذبة قد فرقت ما بيننا بمسافة البحار بُعدًا .

يا بهار لقد أدركت أنك قضيت سنوات طويلة من عمرك فى السجن ، وقد انطويت أنا على نفسى مثل حية جريحة ، والآن ينبغى علىَّ أن أقوم بعمل على وجه السرعة ، حتى أعوضك عن كل سنوات البعد والتشرد ، وإلا فإننى سوف أحترق عمرًا آخر فى عذاب الضمير ، ولما أن أسرتى قد تسببت لك فى كل هذا العذاب والمعاناة ، فإننى أحس بالوضاعة وسوء الحظ ، فيا ليتنى كنت قد سمعت كلامك فى ذلك اليوم ، ولم أذهب أبدًا لرؤية أبى .

وأنت لا تعلمين أننى بعد شهر واحد من مغادرتى لفراش المرض ، أن قامتى قد انحنت عند سماعى خبر وفاتك الحزين .. أتمنى يا بهار أن تسامحينى .

واستطاع هدايت للمرة الثانية أن يلغى أمر نفى بهار ووضع هذا القرار فى ظرفه كما كان مستريح البال من كل شىء ، وقال لنفسه : فى الحقيقة إن إنجاز هذا الأمر لم يكن ليتم لو لم يقم به رجل صاحب منصب .

وعلى الرغم من أنها تحتاج إلى المساعدة فى ذلك الوقت إلا أنها لم تبخل بمساعدتها على أحد ، وإن كنت اليوم لم أر نتيجة تقديم تلك المساعدة بعد ، وهذا الأمر يدل على أننا باعتبارنا بشراً محتاجون لمساعدة بعضنا البعض .

وبينما كان هدايت يفكر فى هذه الموضوعات كان قد ابتعد عن (شيراز) وقد سار وهو يغمره الشوق فى طريق شيراز الزاخر بالمنحنيات ، وقد غمر هدايت إحساس جميل نظراً لأنه يقترب من بهار شيئًا فشيئًا وقال لنفسه : لا أستطيع أن أتخيل لحظة لقاء بهار ، وبالتأكيد أن شكلها قد تغير كثيراً على الرغم من أننى قد كبرت وتغير شكلى أيضًا ، فساعدنى يا إلهى حتى أستطيع أن أوضح لها لماذا لم أبحث عنها طيلة السنوات المتقلبة الماضية ، ولكن هل سوف تصدقنى بسهولة ؟ ومن ناحية أخرى .. بعد

مرور كل هذه السنوات هل هى مستعدة لأن تعود معي ثانية إلى شيراز ؟ وقطّب هدايت حاجبيه ، وراح يجفف بالمنديل حبات العرق التى كانت قد استقرت فوق جبينه ، فقال لنفسه بعد لحظات :

من الأفضل أن أقدم قرار إلغاء النفى لجهة الأمن المختصة فى قرية أحمدى ، وبعد ذلك سأذهب إلى رؤية بهار ، ولكن سرعان ما غير رأيه وقال : لا .. لا لا أتحمل أكثر من هذا ، فأولاً سأذهب إلى بهار ، وبعد ذلك سنذهب معًا إلى إدارة الأمن المختصة معًا ، شيئًا فشيئًا سيطر العناء الناتج عن قيادة السيارة فى الليل على كيان هدايت لدرجة أنه عندما كانت تجىء فى عينيه أنوار فوانيس السيارات التى كانت تصدر من الجهة المقابلة لم يكن يستطيع أن يرى الطريق بوضوح ، ولهذا السبب فقد توقف عندما رأى المقهى الذى كان قد علق أمامه مصباح منير حتى يشرب كوبًا من الشاى ويغسل يديه ووجهه .

ونزل من السيارة ، وقد بدا وجهه متعبًا وهيئته مضطربة نتيجة السفر فى طريق غير معد ، وقد لاحظ عدة مقاعد خشبية قديمة ومائدتين وقد فرشتا بمفرشين من البلاستيك الباهت أمام المقهى ، وألقى ساعى المقهى السلام ، ذلك الرجل البدين الأسمر وسأل : أترغبون فى شىء ؟ ونظر هدايت إلى وجه ساعى المقهى المحترق من الشمس ، وبينما راح الأخير يجفف يديه بمنديل مهترىء ، وقال : نعم .. نعم .. كوب شاى من فضلك .

وأدرك ساعي المقهى من خلال لقائه بهدايت أنه أمام رجل مهم ، فوضع أمامه كوبًا من الشاى نظيفًا وجميل الشكل وسأل : هل جئت بندر عباس ؟

فتبسم هدايت و قال : لا .. لا إنى ذاهب إلى قرية أحمدى ، وهل من الممكن أن تقول لى كم ساعة طول الطريق حتى ذلك المكان ؟

فضحك ساعي المقهى فظهرت أسنانه الدميمة والمتباعدة عن بعضها ، ولم تعد هناك مسافة طويلة ، وقد لاحت فى الأفق تباشير الصباح ، فألقى هدايت نظرة على ساعة معصمه ، فكانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا ، فقال لنفسه : لم يعد أمامى أكثر من ساعتين مسافة الطريق ، ومن الأفضل أن أتحرك سريعًا ، ووضع ثمن الشاى فوق المائدة ، وودع ساعى المقهى وشكره وانطلق نحو قرية أحمدى ، ومرة أخرى غابت السيارة فى ظلام الليل .

ولم يكن يشاهد فى الطريق سوى نور فوانيس السيارات التى كانت تعبر ذلك الطريق ، وفى كل وقت كان يمر ثعلب ذو عينين لامعتين وذيل طويل كالبرق أمام السيارة ، هاربًا إلى الناحية الأخرى ، و كان وجود تلك الحيوانات فى منتصف الليل يشعر

المسافرين بالوحدة ، وكان ذلك يشغل ذهن المسافر برهة من الوقت ، وشيئًا فشيئًا لاحت فى السماء أول إشراقة للصباح ، وشيئًا فشيئًا انحسر سواد الليل وحل مكانه الصباح ، وسرعان ما ملأ نور الصباح أفق السماء ، فأظهر أمامه منظرًا غير واضح الملامح كان ذلك هو قرية أحمدى ، وعندما لاح له منظر تلك القرية عن قُرب فكأنه رأى بوابة الجنة ، فتوجه فرحًا نحو الجهة اليمنى ثم انحرف جانبًا ، وكان الطريق ترابيًا ، وقد دل صوت أذان الديكة على وجود منطقة آهلة بالسكان ، وقد شوهدت على الجانب الأيمن من الطريق أشجار متشابكة وكثيرة ، وشوهدت على الجانب الأيسر منه أشجار النخل العديدة تجاورها الخضرة الكثيفة ، وكان جو تلك المنطقة دافئًا ويختلف عن برودة جو مدينة شيراز ، وقد ذكّره بمدينة شيراز فى شهر فرودين وكانت السيارة تسير فى سرعة منخفضة فى ذلك الطريق الترابى ، حيث بدت العشش العديدة المتراصة والتى تبعد عن بعضها عدة أمتار ، وكان هناك رجل قد ارتدى ثوبًا أحمر اللون حول فخديه وكان مشغولاً باستطلاع الأرض فى مزرعة البطيخ ، فأوقف هدايت السيارة جانبًا ، وتوجه نحو الرجل وألقى عليه السلام ، فأخذ الرجل ينظر إليه من رأسه حتى أخمص قدميه متفحصًا ، وكان من المسلم به أن هندام هدايت قد دل على أنه رجل غريب عن تلك المنطقة لأن

رجـال تلك القـرية لم يكونوا يرتدون القـمصـان ، وكـان هدايت يرتدى بالإضافة إلى القميص فرد الرجل القروى السلام .

وسأل هدايـت : لو سمحت هل تـعيش فى هذه القـرية امرأة باسم (بهار قشقابى) ؟

فـفكر الرجل وقـال : منذ فـتـرة طويلة أتت من المدينة امـرأة وهى تعلـم الأطفـال ولكنى لا أعرف اسمـها ، فدعنـى أسأل ابنتى سارة ، وسار هدايت بصحبة ذلك الرجل نحو عشة من العشش ، وكانت هناك فـتاة صغيرة ذات وجـه نضر مشغـولة بملء جرة الماء بجوار إحدى هذه العشش ، وكان شعر الفتاة المبعثر يدل على أنها لم تغـسله من أسـابيع ، ونظر هدايت إليـهـا فوجـد أنهـا لم تكن تتجاوز التاسعة من عمرها ، بينمـا كان الطين عالقًا بقدميها تمامًا ، ولعلهـا أخذت تسـعى فى ملء جـرتهـا بالماء ، وتحدث مع سـارة بلهـجة قروية فـأشارت لأبيـها بإصـبعـها إلى منطقـة فى النخل ، وهدايت الذى لم يفـهم شيـئًا من حـديثهـما ، نظر إلى إشـارة يد سارة التى كان مـضمونها أن من يبـحث عنها سيجـدها تعيش فى تلك المنطقة ، ونظر إلى الطريق فأدرك أن السيارة لا يمكن أن تسير فيه ، ولهذا السبب فقد سـار مترجلاً مع سارة التى رافقت هدايت وفقًا لوصية أبيها .

وتجاوز هدايت وسارة نخلاً كثيراً ثم اختفيا وسط غابة لنخيل الطويلة ، شيئًا فشيئًا ظهر عن بعد شكل غرفة من الطوب اللبن ، وقالت سارة فى لهجة فارسية ركيكة تمامًا : مدرستنا هناك ، وتعيش المعلمة فى ذلك المكان أيضًا ، فأحس هدايت برعشة خفيفة شملت كيانه كله ، وأخذ قلبه فى الخفقان بشكل واضح ، وكأنه لم يعد لديه القدرة على التقدم خطوة ، ومكث قليلاً ، وأخذ نفسًا عميقًا ، وكان يحس وكأن الهواء قد أصبح قليلاً للتنفس ، وخطا خطوات فى هدوء ، واقترب من الحجرة وكان بابها مفتوحًا ، وكانت قد فُرشت بشريط من الحصير ، ونظر بدقة حتى نهاية الحجرة ، ولم يكن أحد بها ، فقط كان قد علُق بجدار هذه الغرفة سبورة ، وكان جو الغرفة يوحى بحزن زائد وانقباض ، فذهل هدايت عند مشاهدته هذه الغرفة ، إذ إن أعز شخص فى حياته كان يعيش فى هذه الغرفة لمدة طويلة هى غرفة ليس بها أية وسيلة للرفاهية ، فلا كهرباء ولا سجادة يمكن أن تُفرش بها وكأن يد شخص أخذت تخنقه .

وأخذ يمعن النظر فى السبورة التى كان قد كتب عليها : (أعط الأب الخبز) وبينما كان هدايت غارقًا فى أفكاره وإذا بصوت نسائى رزين يسأله من الخلف : ماذا تريد ؟ فتسمر وسط باب الحجرة للحظات ، وبينما كان قد وقف ووجهه نحو الحجرة ، ولم تواته الجرأة على العودة أو النظر إلى المرأة التى كانت تحدثه .

وكان الصوت صوت بهار ولكن كان صوتًا غير رقيق وبلا إحساس ، فسألت المرأة مرة أخرى : عفوًا أتريد شيئًا يا سيدى ؟ وعاد هدايت شيئًا فشيئًا نحو الصوت بينما بدا عليه شحوب الوجه ، وقد ارتدت بهار ثيابًا وحجابًا أسودين غطياها من رأسها حتى أخمص قدميها ، وبدا قوامها أطول من ذى قبل ، ولم يكن يظهر من حجابها سوى وجهها ، وكان يبدو جلد وجهها برنزى اللون ، ولم يكن له جمال ذلك الزمان ، وكانت قد ظهرت التجاعيد حول شفتيها وعينيها و ولكن اخضرار عينيها فى ذلك الوجه المحرّق من أشعة الشمس قد بدا أكثر جمالاً ، على الرغم من أنها كانت محجبة من رأسها حتى أخمص قدميها ، ولم يظهر منها سوى وجهها ، ولكن الوقار والرزانة كانا باديين على نظرتها ، وتبادل الاثنان النظرات للحظات فى دهشة ، ولم يكن لأحدهما القدرة على التحدث ، وكانت شفتا بهار قد قل احمرارهما ، وكانتا ترتعدان قليلاً مثل شخص وقد أصابته قشعريرة برد شديدة ، وأخذ الاثنان يتبادلان النظرات وكأن ذلك كان حلمًا وهو فى الحقيقة واقع ، إذ إن الزوجة والزوج اللذين قد ظنا أن كليهما قد مات الآن يقفان وجهًا لوجه لا يفصل بينهما سوى متر واحد .

وبادرت بهار بالحديث بصعوبة وقالت : أمير .. أنت .. أنت حى ؟ .. قال كمال إن والدك .. وأخذت سارة تنظر إليهما بعد أن

وقفت صامتة فى تـلك اللحظة ، وعندما رأت أن بهار قد جلست على الأرض ، واتكأت على جـزع نخلة ضخمـة ، أسرعت إليـها وسألتها : ماذا حدث أيتها المعلمة ؟

مـاذا حـدث ؟ فنظرت بهـار إلى سـارة وقـد خـارت قـواها وقالت : لا شيء .

اذهبى وأخبرى الأطفال أن اليوم إجازة .

وأخذت سارة تبتعد جارية بسرعة من ذلك المكان حتى تخبر الأطفال بموضوع الإجازة .

فـاقـترب أمـيـر عـدة خطـوات من بهـار ، وقال فى صـوت هادئ : السـلام عـليـك يا بهـار .. سامـحينى فإننى لا أستطيع أن أتحدث ، فإن المرارة قد سدت حلقى .

وانهـارت بهار باكـيـة ، وسألتـه فى جُـمل كانت تخـرج من حلقها بصعوبة .

أين كنت يا أمير حتى هذه اللحظة ؟ ولماذا لم تسأل عنى طيلة هذه السنوات ؟

وأجـاب هدايت بينما كـان يبكى دون صـوت : الآن علمت فقط أنك على قـيد الحياة منذ يومين فـقط ، فقد قيل لـى إن سيارة صدمتك ومتِ .

ونهضت بهار بصعوبة من مكـانها ، وأحضرت الكليم البالى الذى كان مفروشًا بعيـدًا قليلاً عن الفصل على الأرض ، وفرشته بجـوار جـدار الفصل الطـينى ، وراحت تجـفف بطرف حجـابهـا عـينيــهـا وقـالت : أنا فـى خـجل لأنه ليس لدى المـكان المناسب لاستقـبالك ؟ فاعذرنى وتفـضل بالجلوس ، ويبدو عليك أنك لم تنم بالأمس ، ونظر هـدايت إلى زوجـته نظـرة مفـعـمـة بالعـشق والتفاؤل وقـال :

فى الوقت الحالى ليس هناك شـىء يمكن أن يحول بينى وبين رؤيتك على الرغـم من أننى كنت أعـتـقـد أنـك لست على قـيـد الحياة ، ولكن لم أغفل لحظة واحدة عن التفكير فيك .

فأمسك هدايت يد بهار ووضعها فوق يده وقا ل : قسمًا باللّه أنه حتى يومين اثنين لم أكن أعرف أنك على قيد الحياة .

وكـانـت الشـمس تُشـرق بشـــدة وسط جـريد النـخل على الأرض ، ومرت السـاعات وهمـا يجلسـان متجـاورين ودون أن يضيعـا لحظة واحدة ، راحا يتناجيان ويـتحدثان عن آلام القلوب ، ولم يلقـيـا بالاً لمن ومـا حـولهـمـا ، وعندمـا أعطى هدايت بهـار خطاب إلغـاء النفى ، وبعد أن قـرأته بهار ، تبـسمت بسـمة كلـها مرارة وقالت : لقد تركت يا أمـير الشباب والأطفال ووالدىّ وكل شىء من أجل تحقيق هدفى ، وهذه القرية بـالنسبة لى ليست مكانًا

للنفى ، بل فى نظرى مكانًا لتحقيق هدف محدد ، وقد اخترت طريقى هذا منذ سنوات .

ولو كان هدفى تحقيق الحرية الظاهرية ، لكان قد انتهى كل شيء الآن ، ولكننى كنت أكافح أولئك داخل قلعة السجن الحديدية .

فكنت أحرّض بروح وثّابة جميع النساء المكافحات والمسلمات اللائى كن مقيدات مثلى أحرضهن على السجن والسجان ، وكانت عزيمتى هذه فى أمر النضال باعثًا على سجنى الطويل .

والآن فأنا لا أشكو من أى شيء ، وعلى حد قول أبيك ، أنا ابنة بستانى ولا يليق بأسرتكم أن ترتبط بى ، فدع هذا الارتباط غير اللائق بكم يُغطى جزءاً من عرى أجساد هؤلاء الفقراء ، فلو وافقت على أن أعود معك إلى شيراز فإننى أكون فى الواقع قد عُدت للتفكير فى الرفاهية ، ويعد هذا ردة فكرية فى نظرى ، ولكننى سوف أواصل حياتى بشكل أفضل بالبقاء هنا وتعليم هؤلاء الأطفال المساكين .

وعندما تزوجتك كان قلبى ملكك ، ولكن الآن فإن نصفه متعلق بك والنصف الآخر منه متعلق بهؤلاء الحُفاة ، فلا ترض أن أهدم ما كنت قد اعتبرته فكرة مثالية ، فلو كنت وفيًا لى ،

فساعدنى حتى أحل مشكلات هؤلاء الأطفال المحرومين بسهولة .

ولو كنت تعارض أفكارى وتعتبرها خطراً عليك ، فلا عيب فى ذلك ، وسوف أتفهمك ولن أطالبك بشىء ، وقد تحررت بإرادتى الشخصية من طفلىّ وأبى وأمى ، فأن لست ملك نفسى ، بل مرتبطة بالآخرين ، وروحى مرتبطة بهذه العشش الخالية من الرفاهية ، وراحتى الفكرية وروحى متعلقتان بالاهتمام بهؤلاء الناس البؤساء .

وعندما سمع هدايت بهذه الموضوعات ، أمعن النظر فى عينى بهار وتأوه فى صوت عال وقال : إذن فقد حكمت علىّ أن أبقى إلى جوارك حتى آخر العمر وسط نخيل أحمدى .

فتبسمت بهار وقالت : ما الفائدة إن كنت شيرازية ولكن عقلى مرتبط بمكان آخر ؟ ولى رغبة وحيدة فقط لا تحرمنى من رؤياك ، ووصيتى الوحيدة أيضاً ألا يعلم شهاب وشاهين بهويتهما الحقيقية ، وأنا وأنت مدينان بالكثير لمعين يزدى .

فأمسك أمير يد بهار ، ونهض بها وقال :

انهضى لنذهب معًا ، ونسلم قرار إلغاء نفيك للجهة الأمنية المسئولة ، ولن ألزمك بترك هؤلاء الناس البسطاء أو العودة إلى شيراز .

وضحكت بهـار وسألت : ماذا تعنى ؟ ومـاذا نويت أن تفعل بعد مغادرتك هذا المكان ؟

فنظر حولـه أمير وقـال : بعد انصرافى من هـنا سوف أطلب استقالتى .

فقد سئمت المدينة والعيش بها كثيراً ، ومن ناحيتى فإن هدفى فى الحيـاة هو أن أتخلى عن كل شيء لتحقيق هذا الأمـر مثلك .. والآن فقد عثرت عليك ، وبعـد إحالتى إلى المعاش ، سوف أعود إلى قرية قريبة من بندر عباس وأعـمِّر تلك المنطقة من أجل حبيبى الذى أحبه أكثـر من روحى فسوف أشيّد مدرسـة جميلة فى تلك المنطقـة ، وسـوف أكـتب على جـدارها ، الاسم الجـمـيل : بهـار قشقابى . وبـعد ذلك سوف أسرع لأقدم المساعدة لـهؤلاء الفقراء جنبًا إلى جنب زوجتى المكافحة ، فضحكت بهار ضحكة بعد مدة طويلة لـم تضـحكهـا ، وأمـسكت يد أمـيـر بدفء وسط يديهـا ، وضغطت عليها .

وبينمـا كـانت لاتـزال الشـمس لم تسطـع تمـامًـا على تلك القرية ، حتى غاب الحـبيبان وسط النخيل حتى يعلـنا الجهة الأمنية عن قرارهما بالإقامة الأبدية لهما فى قرية أحمدى .

الهوامش

١ – تدل كلمة بطل هنا على الاستهزاء . المترجم .

٢ – الروضة خطبة تتحدث عن مراسم التعزية وتُلقى من فوق المنبر ، وتشمل الحمد لله والسلام على رسول الله والأئمة الأطهار وهى فى القضايا الدينية والأخلاقية وبها شرح أحداث كربلاء ، وتسمى هذه الخطبة باسم روضة الشهداء . المترجم .

٣ – الغمضية : لعبة الاستغماية . المترجم .

٤ – تقصد بهار بهذه الجملة نفسها . المترجم .

٥ – شجر الصفصاف شجر غير مثمر ، ذو ظل وله أغصان مستقيمة ومرتفعة وأنواعه كثيرة ، منه الصفصاف الأبيض والصفصاف الأصفر والصفصاف المعلق ، ويسمى هذا الأخير بالمجنون لكثرة أغصانه وتدليها على الأرض مثل المرأة غير الطبيعية التى تنثر شعر رأسها . (المترجم) .

٦ – يقصد أنه فى المرة القادمة سوف يقدم له طعاماً أفضل . المترجم .

٧ – طيور العشق هى طيور الزينة لدينا فى مصر . المترجم .

٨ – الشهر الأول من السنة الشمسية الإيرانية ، وهو أول أيام الربيع . المترجم .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى   مجموعة من النقاد   ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه   چون بولوك وعادل درويش   ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى   حسنة بيجوم   ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة   فرانسيس هيندسون   ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ   أرلين علوى ماكليود   ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد   سادى پلانت   ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع   وول شوينكا   ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده   فرچينيا وولف   ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)   سينثيا نلسون   ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام   ليلى أحمد   ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر   بث بارون   ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق   أميرة الأزهرى سنبل   ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط   ليلى أبو لغد   ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية   فاطمة موسى   ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان   جوزيف فوجت   ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية   نيقل الكسندر وفنادولينا   ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب   چون جراى   ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى   سيدريك ثورپ ديفى   ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة   ڤولفانج إيسر   ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب   صفاء فتحى   ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن   سوزان باسنيت   ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة   ماريا دولورس أسيس جاروته   ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية   أندريه جوندر فرانك   ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)   مجموعة من المؤلفين   ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة   مايك فيذرستون   ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا   طارق على   ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة   بارى ج. كيمب   ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)   ت. س. إليوت   ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا   كينيث كونو   ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية   چوزيف مارى مواريه   ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف   إيڤلينا تارونى   ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال   ريشارد ڤاچنر   ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار   هربرت ميسن   ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية   مجموعة من المؤلفين   ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل   أ. م. فورستر   ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى   ديريك لايدار   ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة   كارلو جولدونى   ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى آنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو–أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريين	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان روافو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة برومثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة برومثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٧٩٧٠ / ٢٠٠١

المجلس الأعلى للثقافة

اللعب بالنار

هذه رواية واقعية تحكى مأساة إنسانية عامة عانت منها - ولا تزال تعانى - الشعوب الشرقية، وهى سيطرة الحس الطبقى والتمييز بين أناس يفترض أنهم يؤمنون بدين يدعو إلى المساواة والأخوة بغض النظر عن الوضع الاجتماعى أو المعيشى للمعتقدين به، غير أن هذه الرواية تكتسب المذاق الإيرانى الجميل بما فيه من سحر وخيال وأنغام وأحلام، وتذكرنا بالسندباد، وألف ليلة وليلة، وعلاء الدين صاحب المصباح السحرى، التى انطلقت من داخل المنطقة الثقافية والأدبية الإيرانية قبل الإسلام وبعده، ولا نزال نشعر بهذا المذاق الساحر الخيالى فى بعض أعمالنا الروائية والسينمائية المعاصرة.



تصميم الغلاف: أسامة العبد